رواية
سأبـقى
لأكتبـك
الكاتبة:
إيمان الريـاني

"إنّ الرواية لم تعد كتابة مغامرة وإنما صارت مغامرة كتابة"

جان ريكاردو

اهداء

ستبقى وحدك بطلي....اسطورتي... إستثنائي الوحيد....وقصتي التي لن أكتب غيرها...

كنت إبن تشرين وكنت ابنة يناير...

وبين تشرين ويناير مليون سنة ضوئية...

رحلت لتجلسني الى الورق لأكتبك واكتب قصتك او قصتنا...

لأكتب عن يناير وتشرين لحظة اجتمعا ليكتبا القصيده التي رتلت على نغماتها الكلمات...اجمل رقصة عرفتها الابجدية...

منذ لحظة الخلق....لحظة اجتمعا ليعزفا سيمفونية الفصول...

لحظة اجتمعا لينتشي الوجد بالخمرة التي سكباها في قدح العاطفة الاجمل...

منذ لحظة العشق الاولى في الدنيا...

رحلت لتجعلهم يفترقان على وقع معزوفة الاروع في التاريخ ....

لحظة توحدا حتى الفناء لأنهما كانا اعظم من الحب نفسه....

واكبر من ان يعيشاه لأنه لا يسعهما...

رحلت...

لكن ستبقى قصتنا اعظم رواية في قرننا هذا....في حربنا هذه ....في سنتنا هذه... وفي كل سنة....

لست لأنني من كتبتها...بل لأنك كنت بطلها ...

فدعني أكتبك !

-1-

"إذا كان يمكنني إعطاءك شيئا في هذه الحياة سأمنحك القدرة على رؤية نفسك بعيني...حينها فقط ستدرك كم أنت شخص استثنائي بالنسبة لي"

- ألفريدا كاهلو-

رن الهاتف فأجبت وقلت: الو

مرحبا انسة فرح انا غيداء مديرة الدار العربية للنشر والتوزيع بدمشق

اهلا سيدتي كيف انت

بخير حمدا لله لقد اتصلت بك لأخبرك ان روايتك بلا عنوان قد نزلت الى الاسواق وتم بيع ما يقارب 500 نسخه منها واضحة في الشهر الحالي من المبيعات الاولى في دمشق اكثر نجاحا في السوق.

حقا؟

أجل! تعلمين ان معرض الكتاب قد افتتح ابوابه منذ ثلاثة ايام وروايتك ستكون من المعروضات هناك لتوقيع النسخ المعروضة للبيع في المعرض.

حسنا سآتي ولكن متى ذلك؟

غدا العاشرة صباحا كوني هناك .

حسنا سأكون هناك شكرا جزيلا لك سيدتي.

اغلقت المكالمة وأخذت اجهز نفسي للبرنامج الليلي الذي اقدمه كل ليله خميس على اذاعة شام اف ام.... الساعة منتصف الليل...

كنت هنالك قبل خمس دقائق من موعد برنامج دخلت الاستديو عندما كانت زميلتي فاطمة تقول مستمعين الكرام حصتنا لهذه الليله انتهت اترككم ونشرت الاخبار ثم برنامج جفون ساهر مع الزميله فرح حاتم! في امان الله

وضعت فاطمة سماعات على الطاولة ونظرت لي بابتسامة قالت فرح : هل اتيت اهلا عزيزتي.

فأجبتها :مساء الخير فاطمة كيف انت؟

الحمد لله وانت؟

بخير هذا ما اعرفه الى حد هذه اللحظة.

وقالت كلنا اصبحنا لا نعرف الحال الذي سنكون عليه الحمد لله اننا موجودين حتى هذه اللحظة انا عائده الى البيت انت عملي اليوم اتركك في امان الله تصبحين على خير .

وأنت بألف خير حبيبتي في امان الله.

بقيت انتظر لحظة انتهاء الاخبار كي ابدا برنامجي وحين انتهت الحصة الاخبارية... جلست الى الميكرو لأبدأ الحصة...

انتصف الليل جلس على سريره طلبا للراحة ولم يراوده شيء من النوم الذي الى جانبه اخذ يعدل موجاته على اذاعه شام اف ام... وبقي يستمع الى الاخبار مستلقيا واضعا كفيه تحت رأسه انتهى الاخبار مساء الشامي الجميل العبق بالياسمين... مساء كل من يستمع الينا الان داخل وخارج حدود الوطن نبتدأ معكم حصة جديدة من برنامجكم الذي اعطيتموه برنامج جفون ساهر الذي اقدمه اليكم انا فرح حاتم.

انتبه الى اسمها ... رفع صوت الراديو فواصلت المذيعه قائلة :موضوعنا اليوم وجداني بالأساس حصتنا اليوم نقدمها لكل شخص عاش تجربه فاشلة في الحياة اليوم نسمعه ونفتح له قلوبنا ونكون له الاذن الصاغية... اذا كنتم قد عشتم علاقة فاشلة في الحب او الصداقه او الزواج و عانيتم بعدها من الحزن ... من الخيبة و فقدان الامل و خذلتم من قبل اناس احببتموهم معكم وغيروكم اليوم ان تحكوا لنا قصصكم عن طريق اتصالكم بنا على الرقم 09881129 للمشاركة اغنيه للفنان حسام جنيد"والله كتير اشتقتلك" فلنستمع ثم لنا عودة.

بقي مذهولا امام ذلك الصوت انه صوت يعرفه جيدا واعتاد سماعه لفترة طويلة ذلك صوت المخملي الذي كان يسهر ويتحدث اليه لساعات ثم ينام على نبرته وهو يقول له تصبح على خير... انه صوتها ذاته ولم يعد يذكر ان كان الذنب في ذلك ذنبها ام ذنبه....

اخذ ورقة وقلم وسجل رقم المشاركة بالبرنامج بينما انتهت الاغنية فعادت المذيعه لتقول :عدنا اليكم بعد هذه الاغنية لنبدأ بأخذ اتصالاتكم...

بقي يستمع الى صوتها مبتسما ويسترجع اياما كانت له معها تلك التي فهمته ولم يفهمها يوما حفظته بكل تفاصيله... ولم يتمكن من معرفه تفصيل واحد فيها...تلك التي انهت كل شيء بينهما... اخرجته بهزيمته من حلبة الحب امامها بعد ان عجز على منافستها ولم يعرف ما مصير كل من يقدم على ذلك معها...

تلك التي اذاقته طعم الفشل ولم يتعود على ان يفعل به ذلك احد...

تلك الانثى التي حيرته...

التي دخلت حياتها صدفة وخرجت منها غفلة...

وأذهلته...ما بين مجيئها ورحيلها...

تلك التي عرفت كيف تكون ذكية حقا والتي غادرت ليس كما غادرت اي واحدة اخرى غيرها...

تلك التي رحلت تاركة اياه يطرح الاسئلة على نفسه ولا يجد لها جوابا...

رحلت وعرفت كيف تجعله يندم على رحيلها ولا ينسى انه عرفها....

عرفت كيف تحتل مكانها من ذاكرته دائما وتجعله يتمنى رؤيتها ولقياها...

كيف له ان يجدها بعد هذا الغياب ببساطة لتستيقظ ذاكرته على كلمة من صوتها تعود به سنوات الى الوراء...

ترجعه الى تلك السنه التي عاشها معها صديقا او ربما حبيبا لا يدري بالضبط...

أخذ يحاول الاتصال بها والمشاركة في البرنامج ولم يستطع فزاد من محاولاته الى ان أجابه احدهم وطلب منه تسجيل مشاركته وأعلمه انه سيكون اخر اتصال في الحصة....

بقي يستمع الى الحصة بانتباه يعجب مرة بما تقول ويأخذه صوتها مرة اخرى الى ايام احبها كثيرا ولم تعد...

هو الذي دائما ما استغرب من رجاحة عقلها ورصانة فكرها رغم صغر سنها...

هو الذي دائما يشعر معها انها كحلم من جميل يمر بحياته...

لفترة من الزمن سوف تنقضي وكانت حقا كذلك... أشرف البرنامج على الانتهاء بعد ساعتين من ذهول عاشهم على سريره سافر فيهما عبر الزمن سنوات الى الوراء... ليستعيد اياما لم يعش بعدها اياما اخرى شبيهة بها قط...

قالت اقترب موعد برنامجنا من الانتهاء وسوف نأخذ اخر اتصال لدينا اليوم ...الو مرحبا!

الو مرحبا.

اهلا سيدي تفضل ما اسمك؟

اسمي منتجب عبيدة!

اهلا سيد منتجب من اين تحدثنا؟

احدثكم من القرداحة.

صدمت بما سمعته...

تعرفت الى صوته تجمدت عروقها امام تلك المكالمة وحاولت التماسك قائلة :اهلا بك وبجميع اهلنا في الساحل السوري.

قال اهلا بك...شكرا لك.

تفضل اننا استمع اليك

والله يا انسة فرح قصتي طويلة ومعقدة قليلا.

تفضل اننا نسمعك.

لقد مررت بقصة حب فاشلة انتهت منذ فترة وتحديدا منذ ست سنوات.

صدمت بما كان يقوله وعرفت انه يحدثها عن نفسها فقالت له متجاهلة ما يقوله :اجل اكمل.

قال :عرفت فتاة انا متأكد الى هذه اللحظة انها عشقتني بكل ما فيها.

قالت :جميلة ثقتك في نفسك اكمل.

(ضحك)اجل هي احبتني لكنها فارقتني لأنها ظنت انني غادرت بها وكذبت عليها.

لأنني كنت على علاقة بفتاة اخرى عرفتها قبلها وكنت على وشك خطوبتي منها وحين علمت قالت لي انني ضحكت على عقلها ولعبت بمشاعرها وأخفيت حقيقتها عنها وأنها ليست مستعدة لمواصلة علاقتها بي.

معها حق.

لا ليس تماما يا سيدتي.

حقا؟لماذا؟

اجل! لأنني الان انفصلت من خطيبتي بعد ان عرفت بقصه معها والثانية رحلت ورفضت العوده اليها وخسرت الاثنين معا!

يا حرام خلاص الله يعوضك بالخير.

كيف سأجد من هي افضل من تلك التي انفصلت عن خطيبتي من أجلها.

حقا؟

اجل طبعا فضلتها على الفتاة التي كنت اعيش معها قصة عاطفية وكنت معها على ابواب خطوبه وعندما عرفت فتاه تلك خيرت الانفصال لكن اتعلمين شيئا انستي؟

ماذا؟

كان اسم تلك الفتاة على اسمك فرح!

اسم جميل على كل نشكر اتصالك اخ مرتضى ونتمنى لك السعادة والتوفيق.

شكرا جزيلا انا سعيد بمشاركتي معكم وتحياتي الخاصة لكي انسة فرح.

اهلا بك

أغلق الاتصال سعيداً بما فعله بينما قالت هي مستمعين الكرام عندها حصتنا اليوم ملاقيكم في حصة اخرى في سهره الخميس القادم نشكر استماعكم ومشاركاتكم ونترككم مع هذا النغم في امان الله.

وضعت السماعات على الطاولة ونفخت زفرة طويلة كيف تسنّى له فعل ذلك على المباشر معها ؟ أكان يريد فضحها ام التسلي بإضطرابها ؟ هي التي تعودت جرأته وإقدامه على كل ما يريد فعله دون اي خوف او تردد....في هذا الوقت ولماذا يقرر ان يعود الى ذاكرتها لينفخ على الرماد المتبقي من الذاكرة بعد ان اشعل في قلبها كل تلك الحرائق العاطفية...

-2-

"هكذا هو الحب..يأتي للذين لا وقت لديهم لاستقباله...

يحضر للمنشغلين عنه لا اللذين ينتظرونه...

لا للمتهيئين له بل اللذين أهملوا أنفسهم ما يئسوا مجيئه...

ولا شيء يحلو له أكثر من أن ينزل كصاعقة على ضحاياه

وهم في عز المصائب والحروب والأوبئة والكوارث"

-أحلام مستغانمي-

كان الطريق خاليا مخيفا... مظلما...كالعادة ...

يضاء الطريق حسب ساعات التقنين في دمشق...

فتضيء المدينة بضع دقائق ثم يصبح ظلامها مخيفا ...

وصلت الى بيتها....ووضعت رأسها على وسادتها وبقيت تتلوى على فراشها ولم تقدر على النوم...

لماذا يأتيها الان ؟لماذا يعود اليها اليوم؟

بعد ان ظنت انها قد نجحت في نسيانه وقطعت عهدا على نفسه ألا تجعل جرحها يندمل مرة ثانية؟

اهو على هذه الدرجة من الوقاحة؟ أم انه اشتاق إليها حقا؟احقا لم يعرف مثلها ولم يجد بعدها حتى اللحظة؟ أم انه فقط اراد التلاعب يعقلها كما سبق له ان فعل؟ من اين كانت لها عودته هذه؟

...

استيقظت صباحا على وقع صوت المطر نهضت من فراشها ...

كان الجو باردا في الخارج...والأمطار التشرينية تنهمر بغزارة...

في ذلك الصباح الرمادي الغائم المشوي بالرياح العاتية...

ابعدت الستائر ونظرت من النافذة وقد اغتسلت بالمياه من الخارج وتغطت بالندى من الداخل الذي حجب عنها رؤية الشارع ...مسحت زجاجة النافذة بيدها وهي لا تصدق ما حصل لها ليلة البارحة...

اطلت إلى أسفل ...وقد بدا الشارع ساكنا يتبادر عليه المترجلون بمطرياتهم محتمين من المطر ..

فركت يديها ببعضهما ونفخت فيهما محاولة تسخينهما ثم ذهبت لتغسل وجهها وتغير ثيابها وغادرت بينها باتجاه مقر الاذاعة...

وصلت بعد نصف ساعة ودخلت الكافتيريا المحاذية لتأخذ قهوة ساخنة معها الى الاذاعة...

دخلت في البهو الذي ينتهي الى القاعة السابعة التي تقدم فيها برامجها وكان الكل يحييها بقتل: صباح الخير آنسة فرح! فتجيب: صباح النور.

دخلت القاعة ووضعت حقيبتها وكوب القهوة على الطاولة وانتظرت قدوم زميلها احمد المشرف على إخراج برنامجها التي تقدمه...وبينما هي في انتظاره دخل قائلا:

صباح الخير عزيزتي فرح.

صباح النور احمد كيف انت؟

الحمدلله بخير...لقد كانت حصتك البارحة جميلة..تألقتِ كعادتك...حتى أن الكثيرين تفاعلوا مع الموضوع المطروح وطلبوا الاتصال ولم نتمكن من أخذ جميع المكالمات.

أجل الحمدلله على توفيقه...احمد أريد منك طلبا اذا كان بإمكانك ان تلبيه لي.

طبعا تفضلي

أريد أن تعطيني رقم صاحب الاتصال الأخير قبل نهاية حصة البارحة.

لماذا؟

أظن أنني بحاجة إليه.

حسنا سأعطيك اياه انتظريني قليلا.

على مهلك.

هاهو الرقم سجليه عندك.

أخذت هاتفها وسجلت فيه الرقم وقالت له بابتسامة:

شكرا جزيلا احمد

على الرحب!

نزلت من الاذاعة مسرعة لتركب سيارتها وكأنها تخفي بين يديها شبهة تعرّض حياتها للخطر، لا يمكنها ان تصدق انها ستعود لتسمع صوته بعد كل هذا الوقت...لا تزال لا تدري هل واصلت خلالها حبه..وبقيت على عهدها له ام خانته ونسيت...ليست على يقين هل لازالت ترغب به وبالعودة إليه أم توانت عن ذلك...

كيف لها ان تحصل الآن على شيء كانت تتمنى منذ وقت طويل لو انها حصلت ولم تفعل؟

اي قدر هذا الذي يأتي إليها بالاشياء متأخرة..

يؤجل كل شيء في حياتها الى اللحظة التي لم تتوقعها قط...

لا يزال قدرها يلاعبها...يضحك عليها...يراقص عقلها...يغازل احلامها...يثير ذكرياتها... لا تدري أسخريةً يفعل بها ذلك ام لأن الحظ حالفها أخيرا...الآن بعد كل هذا الوقت يأتي إليها متأخرا بدورة من ألم

ورحلةٍ من غياب... بعد أن تلاشى فراقه في ذاكرتها...يأتي اليوم متأخرا بدورة من حب لا تدري هل في الوقت المناسب أم لا...امازال كذلك الرجل الذي عرفته منذ زمن ان تراه تغير؟!

أيعود فيسقي تلك الوردة التي ذبلت ببضع قطراتٍ من صوته ليحيي بكلماته ذلك الحب أم أنه يقتله بسمّ لدغته مجددا...ليكرر ما فعله بها من قبل؟!

حصلت على رقمه لا تدري أصدفةً أم هديةً من القدر...لا تدري شيئا غير أنها تريد سماع صوته الذي اشتاقت إليه...صبرها ينفذ...الورقة بيدها وهي لا تتوقف عن النظر إليها والتفكير بما عليها ان تفعله حتى تعرقت يداها...ضغطت على ارقام شاشة هاتفها لتكتب رقمه...ثم اتصلت...بقيت تستمع الى رنات هاتفه المتقطعة...قال: الو...بعد الرنة الثالثة.

كرّر قوله: الو...الو

وهي تستمع إليه ولا تقدر على اجابته...قطع الاتصال وهي لم تجبه...سمعت صوته فلم اعد تميز عدد دقات قلبها في الثانية...

اعادت الاتصال ...قال : الو

- غبي!

- نعم؟!

- غبي ...كنت كذلك وستبقى كذلك طوال حياتك.

- عفوا من تكونين؟!

- هه!الآن أصبحت لا تعرف صوتي؟ أظننت انك ضحكت علي وحققت ما أردت ؟ستبقى وغدًا لا تتقن التفكير ما حييت.. أنا من يضحك عليك وعلى عشرة من امثالك.

- ماذا تقولين؟!

- هل ظننت انك تمكنت من استفزازي بما فعلته ليلة البارحة؟! واحسرتاه على صِغر عقلك وسطحية تفكيركَ.

- ماذا تقصدين ؟ أنا لا أستفزك...غير صحيح ما تقولينه!

- حسنا أين انتَ الان؟!

- أنا في القرداحة.

- كن غداً في الشام...يجب علي رؤيتك!

- متى تريدين ذلك؟

- كن في مقهى القيمرية في الشام القديمة غدا عند العاشرة صباحا ...ستجدني بإنتظارك.

- سأفعل.

أغلق الهاتف وقد غمر قلبه شعور باللذة والانتصار...إنه الحنين إليها..إلى صوتها... إلى حضورها... إلى دفئها ...

قال في نفسه:

تلك هي المرأة التي خبرتني...التي فهمتني... التي عرفتني..على نحوٍ مستفز كان يؤرقني.. والتي اقتحمتني بطريقةٍ لطالما استفزتني.. تلك التي قرأتني على نحو مخيفٍ جعلني أضعف امام مقاومتها ..فأخشى بُعدها وأكره قربها خشية السقوط على حافة الاعتراف لها بحقيقة ما أقول.

تلك التي كانت تعرفني جيدا بدون ان اعرف أنّى لها ذلك ومِمّن ومن أين كانت تقول أمامي كل ما كنت اقوله بيني وبين نفسي... وتسرد على مسمعي كلمات لم أقلها سوى لوسادتي... وتقصّ عليّ قصصًا لا يعرفها سواي ..وتحكي لي أشياء لم أحكها الا لنفسي...تلك التي كتبت عني أو لي كل كلام الحب دون أن تنطق يوما تلك الكلمة...وتلك وحدها من لم أدرِ حتى الآن أتراها أحبتني حقا أم لا؟!

أتراها سخرت مني أم لا! اتراها تلاعبت بمشاعري أم لا! تلك وحدها من لم أنل معها بما حلمت ...ولم آخذ منها ما أردت...تلك وحدها من كانت اقصى حلمي وأنا ان اصل الى الحقيقة...ووحدها من ظل وهنا يطاردني ...وحدها من رحلت الى الأبد ووحدها من ستبقى دوما بداخلي... خفتها .. كرهتها...اشتقت إليها.. أحببتها...فرحت بوجودها..تألمت لغيابها...ذُهلت امام ردات فعلها وبقيت أذكر كلماتها...ووحدها من لم اعرفها حقا...

وحدها من كان بحوزتي الاف الاسئلة لطرحها ووحدها من لم تجبني!

وحدها من جعلت بحوزتي علامات الاستفهام المتعددة ووحدها من لم اقدر على سؤالها! لم أسألها!

قالت لي يوماً: ادرك انك تكره الاسئلة!

في الحقيقة لا اذكر إن كنت اكرهها قبل ذلك ام لا لكني اصبحت فعلا اكرهها منذ تلك اللحظة...لأني كنت اصدقها في كل ما تقول دون البحث عن البراهين.

كنت أشعر انها حقا تعرفني! وانها لا تكذب في شيء تقوله عني! ربما كانت تفخر بذلك! وكنت في كل مرة اشعرها بتفاهة ذلك واخفي كمية سعادتي المنتفية بين كلماتها تلك.

أذكر كلماتها تلك: أنا وأنت كنا نحيا سويا في حياة سابقة صدقتها دون ايمان مني بمعتقد تناسخ الارواح...

قالت يوما: ربما ما تركت لك حبا...لكني تركت لك بضعة كلمات لن تنساها! ستتذكرها يوما! وستذكرني بها!

كانت كلماتها تلك هي حبها نفسه...كانت تقصد قول ذلك ولم افهمها...لم افهمها مطلقا بقدر فهمها هي لي...وحدها من اربكتني...اسعدتني... اغضبتني...افحمتني...ادهشتني ...اثارت سخريتي واثارت شقائي ...اشعلت قلبي... واستثارت عاطفتي...لماذا رحلت؟! ولماذا في ذلك الوقت؟! أين هي الان؟! لم أذكر منها

سوى كلماتها فحضورها كله كان بضعة كلمات بعضها قذفتها في وجهي وبعضها رمتها خوفا عن بعد ...فإحتفظتُ بها ...لقد تركتها لي كما قلت وتذكرتك بها كما قلت يا عزيزتي! فأين انت؟!

وهل مازال بحوزتك بعضا من تلك الكلمات؟! ربما أنا بحاجة لواحدة منها فقط كي اشفى منك أو من ذكراك وذاكرتي المليئة بكِ! لا اريدك مجرد ذكرى! فلم يبقى بحوزتي منك سوى هذه القصة!

-3-

"في كل مرة تقول هذه المرة الأخيرة...وفي كل مرة لا يصدقها ولا تصدق هي نفسها... إنه رجل يطاردها حتى في احلامها...رجل من كثر ما عشقته وتوحدت به لن يصعب عليه حتى اختراق موتها!"

ريما كركي

أنتَ رجل الظل...يراودني طيفك في ساعة متأخرة من الذكرى ...ليرسو بي على شطآن كلمات قديمة دوّنتُها بين طيات ذاكرتك...

بقلمٍ لطالما قرأت له بشغفٍ وفَرحت بحروفه عيناك..أتذكره؟ ربما...كما ربما لا...

تمر بي تلك اللحظات مسرعةً فلا أقدر حتى على الهروب من طيفها الجامح اللاحق بي عنوةً...منذ متى صنعنا قبرا للذاكرة لستُ أذكر...لكنّ القصّة لم تمت ولم تُدفن ولم تشأ أن تنتهي ...كانت عصيّة على الزمن فإخترقت البداية والنهاية...لذا سأظل أذكر وتذكر أنت أيضا كل ما مرّ بنا...

جلستُ قبالتك أخيرا...وبعد كل هذا الوقت الذي صمدت واتقنت فيه العيش من دونك ...وتعلمت الحياة وحيدة...تعلمت كيف اسند نفسي بنفسي واتكئ على نفسي في مواجهة الحياة...تحدثت اليك أخيرا ...تأملت ملامحك مجددا..

استمعت الى صوتك من جديد...بثباتك المعتاد وببرودك الدائم...لا تعرف للارتباك أو الخجل طريقاً... كعادتك تستمتع بإرتباكي قُبالتك...

حاولتُ اخفاء فرحتي برؤيتك واظهار غضبي مما فعلته في تلك الليلة في برنامجي الاذاعي وكنت كعادتك تنتظر مني ان ابدأ النقاش:

- أخبرني لماذا فعلتَ هذا؟!كيف تختلق قصة واهمة لتشارك بها في برنامجي...لماذا اخترت حصتي الاذاعية بالذات ألم يكن بإمكانك اختيار اذاعة أخرى وبرنامج آخر لتحكي قصتك؟! لماذا تحرجني هكذا امام المستمعين وتدري جيدا انه لا يمكنني مواجهتك؟!

- لا تغضبي يا عزيزتي الأمر لا يستحق كل هذا استمعت الى حصتك صدفة...لم اكن ادري انك اصبحتِ مذيعة في اذاعة شام fm ! حسن سمعت صوتك أردت أن أصل اليك كنت ادرك أن هذه هي الطريقة الوحيدة !

لماذا أردت ذلك؟

أردت أن اخبرك أنني قرأت روايتك تلك التي بدأتها بجملة" الوجع أننا نكتب لمن لم يعد هنا حتى يقرأ" قرأتها وادركت أنني بطل تلك الرواية واردتُ ان اثبت لك أنني لست كما قلتِ "لست هنا" ولا مثلنا كتبتِ"لا يقرأ" لقد أخطأتِ التقدير سيدتي!

كم أنا محظوظة لك! اذا أنت تقرأ ولستَ كما ظننتُ؟! وما الذي جعلك تدعي انفصالك عن خطيبتك؟!

ألستِ من قلت ذلك في روايتك لقد ريت القصة التي ذكرتِها أنت في الرواية! كنت تخفين اسم ضحى باسم منى واسم منتجب باسم مجتبى.

أجل فعلت فكما قالت الكاتبة احلام مستغانمي كنت أخبئ موتا بآخر...وأغطي وطنا بآخر وأخفي تهمة حبٍّ خلف حبٍّ آخر"

أجل ادري! وهذا ما حصل معي في الواقع!

ماذا تقصد ؟

لقد انفصلنا ! تماما كما ذكرتِ في الرواية!

لماذا؟ لقد كنتما تخططان لخطبتكما...

أجل ولكن لم يحصل ذلك

لماذا؟!

لا نتفق على شيء...لا انسجام بيننا... لا توافق ولا إتفاق!مع كل حوار خصومة..لم اعد احتمل الأمر! ثم أن ضحى تزوجت الآن.

بهذه السرعة؟

أجل الايام تمضي بسرعة هائلة! قولي لي في البداية لماذا خبأت في روايتك الاسماء الحقيقية والوطن الحقيقي والملامح الحقيقية للشخصيات والزمن الحقيقي والنهاية الحقيقية؟

لقد كنت خائفة! ربما لست خائفة منك بقدر خوفي ان يقرأني كل من سيقرأ هذه الرواية...ربما الاكثر رعبا في الكتابة هو ان تمرّر شيئا من الحقيقة عن حياتك في كتاب لا تدري بين يدي من سيقع..لذا تجنبت كشف الحقائق ربما خوفا من المتطفلين لا اكثر لا ادري! حتى أنني ابعدت الشبهات عن نفسي بجعل البطل التي هي في الحقيقة أنا لبنانية من الضاحية وصحفية في قناة المقاومة ترتدي العباءة ولباس التقوى...ربما لم اكن أريد جعل أحد يشتبه بي....فأبعدتها اقصى ما يكون عني! انني بقدر ما اتقن الكتابة واحب ممارستها بقدر ما اخاف عواقبها فالناس دوما تتربص بنا!

ربما جيد ما فعلته ...لكنني سأقول لك شيئا ربما يغضبك..انتِ فعلتِ هذا لأنك تخافين الحب!

اخاف الحب؟!

أجل حتى ان بطلتكِ لم تفعل شيئا سوى الهروب في النهاية دون اخبار حبيبها عادت الى بلادها هاربة...انها مثلك تمام بل انها أنتِ لا غير! انت تخشين الحب وتتراجعين في منتصف الطريق تمامت لحظة اقترابك من الهدف تَرجعين بنفسك الى النقطة الصفر...انتِ هكذا ولن تتغيري!

ربما انتصرت حين جعلت بطل تلك الرواية شهيدا في النهاية فضمنت عدم انكشافي بك أو به!

ولكنني مازلت حيا لم أمت! لذا عزمت عن البحث عنك والعثور عليك للحصول على توقيع منك على نسختي...لقد أشتريتها من معرض دمشق للكتاب! لقد كنت هناك في اول ايام المعرض.

حقا؟!

لكن للاسف لم تجمعنا الصدفة.

ها قد جمعتنا رغبتك.

طبعا تعرفيننب جيدا حين ارغب في الحصول على شيء اخذه ولو بالقوة!

...

نظرتُ الى ساعتي متعمِّدة ثم قلتُ لك: الوقت يداهمنا علي المغادرة لدي عمل في الاذاعة ويجب ان أكون في الموعد.

حسنا كما تريدين!

كنتَ مصرًّا على ان تدفع ثمن القهوة والاركيلة! غادرنا النوفرة وعبرنا القيمرية واتجهنا شرقا نحو باب توما ثم غادرنا المدينة العتيقة...

كنت كعادتك...قوياً...مغريا...فاتنا...مدمِّرا...آسرا... وكنتُ كعادتي ايضا لا أقدر على اخفاء قدرتي على قراءتك وفهمك ...كطفلةٍ سعيدةٍ بلعبتها ...لا يمكن ان اخفي سعادتي بلقائك ولقياك والنظر اليك والنظر في وجهك... وتأمل ملامحك الاخاذة...شيء ما فيك يجعل جاذبيتكَ غير قابلة للمقاومة...أو ربما كنت أنثى دون مناعة ...ضعيفة امام رجولة كهذه!

كنت كعادتك...قوياً...مغريا...ولكنك كنت متغيرا كثيراً....شيء ما فيك جعل منك رجلا آخر لم أتعرف إليه... رجلا بدا لي مبهما لست قادرة على فكّ شيفرته بهذه السهولة...وبهذه البساطة... لم تعد الأمور بديهيةً كما كانت....لم تعد واضحًا كما كنت...زاد غموضك وازدادت نقاط إستفهامي من حولك..شيء ما حصل بداخلك...جعلك رجلا آخر لست نفسه الذي كنتُ أعرفه وأرافقه منذ سنوات...ولست نفس ذلك البطل الذي كتبت عنه تلك الرواية...

كنت قوياً أو ربما تتصنع القوة ولكن كم كنت متغيرا ولا يمكنك اخفاء ذلك عني...

كان الامر واضحا جدا!

لن تعد كما كنت مطلقاً!

لم افهم جيدا سبب انطفاء صوتك...

ربما الخيبة! خيبتك التي تعرضت إليها جعلت منك مكسوراً يحاول ترميم بقاياه ويسعى الى اخفاء كسوره وإبراز صلابته... ولكنك كنت طفلي ولا يمكن لطفلٍ ان يخفي مشاعره عن والدته مهما حاول...

لم أرغب في طرح اي سؤال عليك خلال لقائي بك..فقد كنت ادرك جيدا مدى كرهك لتطفّل الاخرين وطرح الاسئلة! كنتَ غامضا تثير اسئلة كثيرة في ذهن من يلتقي بك ولكنك كنت تكره فضول الآخرين نحوك! فلا يمكن لأحد اكتشافك إن لم تسمح له بذلك!

كم كنتُ اخافك...وخوفي هذا لا يتبدد كلّما اقف امامك من جديد!

....هو رجل الارباك دوماً...معه لا يمكن لها ان تتأكد من شيء...

هو رجل الجفاف العاطفي الذي يطفئ حرائق لهفتها بجفاء يغمر عينيه أمامها ...

يغريها صمته...

يجذبها غموضه...

تربكها ازدواجيته...

هو الذي لا يمكن ان يضع الاشياء في المنتصف..أو يكون على اعتدال...

هو الذي يحلم ببلوغ كل شيء أقصاه...

ولا يرى في الدنيا سوى الأسود والابيض ولا مكان للرمادي لديه...

هي التي اقسمت على الولاء إليه...

مع ذلك لدغها لأنه يرفض ان يقترب منه أحد دون ارادته وبلا رغبة منه...

هاهو اليوم يعود إليها وحده وبنفسه وعن طواعية...

هو ذاك الذي يبحث دوما عن إمرأة تقتحمه بشراسة وتسرقه من نفسه...وحين وحدها هرب منها خوفا...كلما شعر انها تثق به ازداد ولائه لها ولكنه يواصل اخفاء ذلك...

هي امراة عودته دائما أن تعود إليه في لحظة صمت لتدخل الى دهاليز نفسه وتنزل الى اعماقه لتكهربها بوحًا...لتضيئها اشتعالا بالكلمات وترحل...وهو ذاك الذي لن يغفر لها دخولها الى اعماقه والتلصص على الأسرار التي اقع في عتمة اعماقه...

لا تزال تتساءل كيف أمكن لها الجلوس أمامه والتحدث إليه بهذه السهولة ..هي التي تعرف كل شيء عنه ولا يعرف عنها شيئا...

هي معه كل شيء ... معه العاشقة والكاتبة والانثى والمرأة والمناضلة والبطلة...حضوره هويتها ...حضوره وجودها وفي غيابه تُلغى كينونتها ...

فقط معه هو تلاحقها الافكار ...تطاردها الكلمات ...ويلازمها القلم...

تماما كما تلاحقه بندقيته ويطارده الرصاص وتلازمه بذلته العسكرية!

تذهب الى الورقِ مُحمّلةً به تماما كما يذهب هو الى الموت مُحمّلاً بالوطن... في حبه تكمن كينونتها وذاتها...تماما كما تكمن كينونته في الدفاع عن الوطن...سيبقى وحده ولكنها وقدرها الذي لا مفرَّ لها منه...

سيبقى قلبها شهيد تشرين!

-4-

"انت رجلٌ تعشقه العين واللسان ورؤوس الأصابع والقلب لا يعمل في الأخير الا على الاستسلام للدهشة الجميلة...هنا أنت في مدافن الروح...أنام فيك وعلى وجهك ولا توقظني إلا موسيقى العزلة والحنين اليك!"

واسيني الاعرج

هو الذي بكلمةٍ واحدة فقط يأخذ بيدها ويغرقها في حلمٍ جديد...كلمة واحدة منه يرمي بها في قعره في أعمق نقطة منه في اسفل خباياه ويترك لها مهمة الخروج لوحدها...هي التي ما تعلمت في مدرسة العشق كيف تكتم جنونها به وعشقها الذي لا يمكن لعينيها ان تخفيه...هو العسكري ببذلته الخضراء بكل ما تحمله من سلطة واغراء.. من سيطرة واغواء...من قوة واصرار...لن يركع لامرأة...لن يلتمس قُربها ...لن يخضع لكلماتها..

دخلت الى الاذاعة صباحا لتعوض زميلتها في برنامج اذاعي ...فوجدت باقة من الورد الاحمر فوق الطاولة المستديرة ...وفوقه كرت أبيض صغير...كُتِبَ عليه : مازلنا على موعدٍ مرتقب سيدتي!

تجاهلت الأمر وألقت بالورقة في الحاوية..هي لا ترغب به فهو وحده من قرر أن يعود إليها...

فجأة رن هاتفها...ظهر اسمه على الشاشة..أجابت...ف كان صباحا رماديا غائما

اخبرها انه ينتظرها بسيارته في الاسفل وأمرها بان تأتي اليه نزلت مسرعه من الاذاعة

رمقت الرصيف بنظرها فإذا به يتصل وهي امام البناية تعالي نحو اليسار

اجابت حاضر

ثم قطعت المكالمة واتجهت الى سيارته راكضة... من وابل اشواقها للاحتماء بنظراته رأته خلف زجاج السيارة الامامي يدخن وقد شغل ماسحات البلور المبلل...

فتحت الباب وقفزت داخل السيارة وقالت مرحبا اجاب اهلا ثم واصل تدخينه نظرت الى البلور وقد ابيض بأنفاسه ثم صمتت انتظارا لبدئه بالكلام...

لا شيء بينهما... سوى صوت المطر وهزات انفاسهما ورائحة التبغ المختلطة برائحة جسده وبضعة سنتيمترات...

لطالما انتظرت طويلا ان تعيش معه لحظه سكينه هذه ولم تحصل عليها الا بعد ان يئست من حصولها ...

احيانا يحدث الاشياء ان تحصل اثر استسلامنا امام انتظارها وموت رغبتنا في وقوعها ما نريده في غفلة لم نتجهز لها بعد !

بقيت تنظر الى شفتيه لعلهما تقذفان بكلمات تخافه كل ما كان بحوزته كلاما اليها بعض قال دون ان يلتفت نحوها كيف انت فردت انا بخير كانت ستسأله لماذا طلبت رؤيتي ولكنها ارادت الاحتفاظ بالوقت صمتا

للاستفزاز رغبته بالكلام قال ربما استغربت من طلب اياك فقالت نعم قال اردت رؤيتك لا اكثر قالت لي هذا اخرجتني من الاذاعة مهرولة

قال: وما المشكلة؟ اتظنين ان لحظة من مطر كهذه ستتكرر؟... اردت سرقتها منك ولا داعي لأستشيرك لكي افعل ذلك !

دهشت من غرابة طلبه وقسوة كلماته ثم رأت أنّ عليها ان تشاركه متعة لحظة مفاجئة غير محسوبة...

هي التي اعتادت شرفته في الحب ورومانسيته القاسية التي لا تملك سوى ان تذعن لها ...

اختلط صوته بصوت المطر على اعتاب مسامعها

كلمات تمر تحت الصمت تقذفها المسافة الفاصلة بينهما دون ان ينطقا بها... يكتفيان بتمريرها بالتخاطر في يتكلم فيها المطر قلبها يخفق وشفتاه نفس الحركة على تلك السيجاره هي الان لا تريد شيئا فقط تنتظر صوته وبعض اهتمام منه لكنه دون ان يقول شيئا قط باغت شفتيها بقبلة حارة مفاجئا اياها بسرعة مدهشة احمرت وجنتاها واكتفت بالصمت خجلا قبالته ثم غادرت السيارة مسرعة عائدة الى الاذاعة... كنت جالسة على الكرسي بعد النتهاء برنامجي الاذاعي...حين باغتني احمد بسؤاله لي:

مابك يا فرح؟ ماهو سبب شرود ذهنك بهذه الطريقة لماذا تفكرين؟

لا شيء اشعر بالحيرة لا غير!

ومن منا لا يشعر بالحيرة والضياع والغربة والاستغراب والدهشة في ظل هذه الظروف.

لا ليست الظروف! أظن أنني...

ماذا؟ اهو الحب؟ شيء ما يشغل ذهنك ويبدو هذا واضحًا على وجهك!

اخاف ان اتخذ قرارا خاطئا في حق نفسي يجعلني اندم لفترة طويلة.

اذا كان قرارا هاما فكري جيدا قبل ان تتخذيه! في النهاية لا أحد سيتحمل تبعات قرارك هذا سواك فكري جيدا كي لا تظلمي نفسك.

هل ترى الهروب من الحب قرارا صائبا؟ قرارا يمنحنا شيئا من السلام النفسي؟!

لماذا ترغبين في الهروب من الحب؟ هل ترين هذا حلاً مناسبًا؟

في الحقيقة أنا أرى الحب كالحاجز العسكري تماما...علينا ان نمشي بماحاذاة الحب ولا نلامسه ...ان نحذر طريقه المزروع بالالغام كي لا ندفع ثمن اندفاعنا ما تبقى من حياتنا...أليس علينا ان نحمي قلوبنا كما نحمي اوطاننا فالقلب وطن يحمل الكثيرين ان مات بداخلنا سنخسر أنفسنا ونخسر كل من يحبوننا!

ولأنك قلتِ تماما كالحاجز العسكري .. فتماما كما نقف امام الحاجز العسكري ويمنع علينا تجاوزه دون العبور به وكشف هوياتنا والتوقف والانتصار فعلينا ايضا ان نقف امام الحب بحيث لا يمكن لنا عبور ما تبقى من طريقنا في الحياة دون أن نتوقف عنده دون خوف! الا اذا كنتِ في وضعية مشبوهة بها!

وما الذي سيجتلني مشبوهة امام الحب؟

لأنك تخافينه...اذا تجاوزته ولم تتوقفي عنده ستتجاوزين مرحلة هامة من حياتك وتجربة فريدة عليك ان تخوضيها! لماذا ترفضين خوض تجربة الحب؟ هل تخافين الحب؟

وما الحب في النهاية؟ أليس ذلك الخوف الدائم من الفراق...من الرحيل...من الخيانة...من الغدر...من الألم والفاجعة...الحب هو الوقوف صمتا امام سارق يسلبك كل شيء وتزداد اعجابا به وعطاء له كلما ازداد سلبا لكل ما فيك!

أظن أنني قرأت هذه الجملة في إحدى روايات احلام مستغانمي.

أظن ذلك!

اعلم انك مُحِبّةٌ لهذه الكاتبة وتقرئين لها دائما! ولكن لا بأس جربي الحب يا عزيزتي فنحن في النهاية لسنا سوى مجموعة تجارب! لا داعي لأنني على تجربة خضتها لأنك ستتعلمين منها الكثير.

....

ما الذي تراه دفعني الى القبول بالعودة اليك من جديد؟!

ما الذي تراه جعلني أقبل بخوض التجربة نفسها مجددا؟

ما الذي جعلني اندفع نحوك من جديد بكل هذه الحماسة وهذا الشوق الذي يأخذني اليوم متناسية جنونك وتعقيداتك ونفسيتك المتعالية وشخصيتك المركّبة ؟!

أنا التي لطالما قرأت كتب علم نفس عديدة ومتنوعة عن أصحاب الشخصيات المركبة والمعقدة والصعبة المراس وعن الرجال الtoxic وعن المنحرفين النرجسيين وكيفية إلتوائهم حول الضحية ومازلت لا أتقن كيفية التعامل معك على نحو جيد!

لا اعرف ما الذي تريده مني بالضبط؟

لماذا تلاحقني على هذا النحو؟

لماذا تحاصرني بهذه الطريقة؟

لماذا تقترب فجأة وتهرب سريعًا بهذا الشكل المثير للحيرة والتساؤل؟

لماذا تبرز وتختفي؟ لماذا تهرول ثم تتراجع؟! أنا التي لم اجرؤ يوما على طرح جميع هذه الاسئلة عليك..والتي ستبقى تثير الحيرة في نفسي كلما فكرت بك!

أنت سيد المفاجآت بإمتياز والخارج عن كل التوقعات ...أنت ذاك الذي يُعتبر الحب معه حرب أعصابٍ ضارية أين تقف أنثاه لتقتات على صبر لا ينفذ في مواجهتك وهي تدري انك القادر على فعل أي شيء بلحظة...

مغري أنت حتى في حزنك القاتم وصمتك الجائر الذي يعصف بقلبي ويقذف به على شواطئ الحرمان...

سيبقى صمتك يغريني بقربك وسأبقى ارتّب كلماتي تحت الصمت حفاظا عليك...

ستبقى بيننا كلمات عابرة تحت الصمت يبتلعها الكتمان قبل ان تقذف بها شفاهنا فتموت قبل ان تولد ولن ترى الضوء مطلقًا!

هو الذي دائما ما يتحدث إليها بكلمات بلا حروف ويترك لها مهمة البحث عما يقول في عينيه...وفي مواصلته ل "لامبالاته" لا تزال تجلس على حافة الوقت شوقًا بإنتظار ذريعة مقنعة لتفتح محادثة معه...

هو الذي ما أعفاها من اختباراته العاطفية ولا وثق في مشاعرها رغم انها تدوّن حبه على جميع كتبها واوراقها...

هو رجل لا يرغب في مشاركة أحد تفاصيله ووجعه ...

بوجودك أنت فقط يصبح بإمكاني ان اتخلى عما بحوزتي من ورق واعتزل الكتابة ...فقط بحضورك أنت أنطلق إلى الحياة واشتهي الواقع!

كم اشتاق إلى ذلك الطفل الذي مات بداخلك منذ زمن ...كيف لي أن اشفي جروحك وكل شيء كُسر بداخلك...كيف لي احيي ذلك الطفل الذي مات بداخلك؟

كنت سأقول لك وقتها : أنت طفل يختبئ بين احضان الخيال فلا تتجاهل ذلك بعنفوان الرجولة...ولم أقدر ...اكتفيت بالصمت قبالة حزنك...ولأنك لا تقدر على فهم كلامي فلن تفهم صمتي...

خطئي كان أنني لم اقدر على مقاومتك لأن كل ما فيك يغريني... فأنا من ذلك الجيل الذهبي الذي يستهويني من جيل الزي المدرسي الاخضر" زي الفتوة" ومادة التربية العسكرية الذي نشأ على الذاكرة الوطنية وتقديس الوطن...وهذا ما يزيد هوسي بك... ليتك تدرك انني اشتاق اليك وأنا قبالتك ... وان وقوع صوتك على مسامعي يتسبب لي برجّةٍ قلبية...

كنت في دوامك حين كتبت لك نصا على تطبيق فيسبوك ووضعت لك اشارة بإسمك على المنشور ....كان نصا من رواية "فوضى الحواس" الصادرة في عام 1997...نص وكأنه قد كتبت لك وكأن كلماته تتحدث عنك أنت لا غير...

"إنّ كلّ قصّة مع رجل ترسو بك على شاطئ المفاجأة. أمّا إذا كان هذا الرجل زوجًا، فستوصلك القصّة حتمًا إلى سلسلة من المفاجآت.

في البدء، نحن ندري مع من تزوّجنا. ثم كلّما تقدّم بنا الزواج، لا نعود ندري مع من نحن نعيش!

الأكثر غموضًا ومفاجأة، ذلك الجيل من الرجال، الذين ينتمون إلى حروب طويلة النَّفَس، ابتلعت طفولتهم وشبابهم دون رحمة، وحوّلتهم رجالاً عنيفين، وسريعي العطب في آن واحد، عاطفيّين وجبابرة في الوقت نفسه.

أولئك يخفون داخلهم دائمًا رجلاً آخر، لا أحد يدري متى يستيقظ، وطفلاً لم يكونوا على أيّامه، قد اخترعوا لعبة «الليغو»، ليتمكّن ككلّ الأطفال، من التدرّب على تركيب قطعها حسب مزاجه الطفولي، ثم فكّها من جديد."

قمتَ بمسح الإشارة وقلت لي"ليش حاطة شارة"

فأجبتك: اتمنى لو تقرأ هذا النصّ الجميل...انه لك!

فقلت: حسنا سأقوم بقرائته في الغد لا وقت لدي تبصحين على خير!

لم أجبك ولم أصر على إجبارك على قرائتها فقط أغلقت هاتفي ونمت وسعيت لأن لا افكر بك طوال الليل بعد أن قطعتُ عهدا على نفسي الاّ أكتب اليك مجددا طالما انك لا تقدّر قيمة من يحاول اعطائك قيمة!

غضبت لا يمكنني ان انكر هذا غضبت كثيرا وحاولت تناسي الأمر بإعتبار انك كنت في الدوام فقد تكون مرهقا وفي حاجة الى النوم ولا ترغب في قراءة شيء....وقد تكون فعلت هذا فقط لجعلي افكر بك طوال الليل وافكر في ردّة فعلك بعد قراءة النص في الغد!

تذكرت تلك الابيات لابراهيم بن المهدي التي يقول فيها:

ونهيتُ نومي عن جفوني فإنتهى

وأمرت ليلي ان يطول فطالَ

نظر العيون الى العيون هو الذي

جعل العيون على العيون وبالاً

ولكنني لن انهى نفسي عن النوم... ولن أقضي الليل في التفكير بك...أنت تسعى الى هذا... وأنا لن اجعلك تنجح في ذلك!

انت لا تعلم انك تقتل وجودك بداخلي في كل مرة أتحدث فيها اليك...عندما ترمي بسهام برودك نيران لهفتي وتطئفها فتقتل حماسي تجاهك في كل مرة....

في الصباح....استيقظت على صوت رنين هاتفي فإذا به اسمك على الشاشة.

اتصلت بي قائلا:

كم هو رائع هذا النص! هل هو من تأليفك؟

لا إنه مقتبس من رواية! هل اعجبك حقا؟

فقلت ضاحكا: اي شو عجبني صرت عم بوس الشاشة!

ضحكت قائلة: عنجد! حلو كتير!

قلت لي: كتريلي منهم هالنصوص!

أمرك تاج راسي...هل لي أن ألتقي بك؟

حسنا سأحاول خارج ساعات الدوام.

-5-

"أنت في غيابي ينقصك شيء...انا في غيابك ينقصني أنا"

أدهم الشرقاوي

جلستُ في الهافانا ...التاسعة صباحا..كنتُ الى الطاولة بإنتظارك ...وعدتني ان نلتقي...قلت لي لا دوام لك اليوم...كنت في شوقٍ لرؤيتك لأن مداومتك في إحدى مناطق ريف دمشق البعيدة منعتني من الالتقاء بك طوال اسابيع...

جلستُ الى كرسي قبالة الواجهة الزجاجية للمقهى أتأمل عبور المارة في الطريق...

وجوه واجمة ...وجوه عابسة...وجوه يائسة... اجسام منهكة وارواح متعبة...وجوه تنتظر حصول شيء ما يبدو تحقُّقه مستحيلاً!

أتذكّر جملة للكاتب عباس محمود العقاد يقول فيها: يكبر المرء بعدد الايام التي يصمت فيها عمّا يؤلمه.

ولقد كبرنا سنوات وسنوات....كبُرنا بعدد الصدمات التي تعرّضنا لها..كبُرنا بعدد خسائرنا... كبُرنا بعدد خيباتنا... كبُرنا بعدد المرات التي خفنا فيها...بعدد المرات التي بكينا فيها...بعدد المرات التي صبرنا فيها على كل ما نعيشه وما يحصل معنا... كبرنا بعدد صدماتنا اليومية...كبرنا بعدد المرات التي تمنّينا فيها مغادرة هذه الأرض وترك كل كل شيء... كبُرنا بعدد المرات التي فكرنا فيها بالهروب من كل ما حولنا ومن كل ما يحصل... كبُرنا بعدد المرات التي نفذنا فيها من الموت... كبُرنا بعدد القذائف التي امطرتنا...بعدد المعارك والاشتباكات ... بعدد الضحايا... بعدد الموتى والجرحى...بعدد ساعات انقطاع الكهرباء...بعدد الساعات التي قضيناها عطشى... كبُرنا بعدد اللحظات التي إرتعدنا فيها من أصوات القذائف والانفجارات والقصف والصواريخ وبعدد المرات التي ظننا فيها أننا سنكون الضحية القادمة...وبعدد المرات التي ظننا فيها أننا سنخسر أغلى ما نملك واعزّ من لدينا من أقرباء...

كبُرنا بعدد الاحبّة اللذين فقدناهم...أستحضر قولةً جميلة جدا قرأتها في كتاب خربشات خارجة عن القانون تقول: الاقامة في الوطن ليست دليلا على ارتفاع منسوب الوطنية انه دليل على ارتفاع منسوب الفقر فكثيرون لا يملكون ثمن تذكرة السفر.

حقاً خسرنا كل شيء حتى لم يعد بحوزتنا ثمن تذكرة سفر...لا ندري ان كانت بيوتنا التي نسكنها بحوزتنا أم لا...ثيابنا التي نلبسها بحوزتنا أم لا ...لم يعد لدينا ثقة في أي شيء...

تقول الكاتبة هيفاء بيطار في روايتها "وجوه من سوريا": لا هواء في سوريا ...الناس يتنفسون ذعرًا وذلاً وتحمُّلا يفوق قدرة الاه على احتماله...حتى الفراغ تسلل الى أحاديث الناس وصار حاضرا بقوة.

لم يعد أحدٌ يثق في اقرب الناس إليه...لم يعد أحد يقدر على الشعور بالاطمئنان حتى بجانب أحبّ الناس على قلبه فقد يغدر به لمجرّد انه لا يوافقه رأيه السياسي.

لم يعد أحد منا أهلاً للثقة!

تقول هيفاء في روايتها: الخوف والذل وجهان لعملة واحدة هي اللاحياة!

وتضيف: لم يعد يخيفنا الموت لا صرنا نخاف من حياة تشبه الموت!

لم يعد لدينا حياةٌ نعيشها أصبحنا موتى على قيد الحياة! تملّكنا الركود وأخذ منا التعب كل مأخذ...لم يعد احدنا قادرا على الضحك من كل قلبه ..لم نعد نسمع صوت ضحكاتٍ عالية على قارعة الطريق منذ زمن طويل لم نعد نذكر منذ متى تحديدا...أصبحنا كائنات صامتة مذهولة مُدهشة من قدرتها على الاستمرار في ممارسة حياةٍ بهذا الشكل....كائنات عاجزة لا يمكنها تغيير اي شيء في حياتها ...لا يمكنها تقرير مصيرها ...لا يمكنها اختيار أي شيء ... نحن هنا مجبرين على كل ما حولنا...لا نقرر شيئا... لا نختار شيئا...حياتنا ليست ملكا لنا...وليست بأيدينا...كالدمى المتحركة... لا ندري الى أين نسير...والى أين بإمكاننا ان نهرب ومتى ننجو وهل مازال بحوزتنا فرصة للنجاة من الجحيم أم أن الوقت فاتنا!

يقول الكاتب محمد الماغوط رحمه الله:

ما الفائدة من ان تكون قادرا على كتابة اي شيء في هذا العالم ولست قادرا على تغيير اي شيء في هذا العالم؟!

كما قال منذ سنوات في كتابه "سأخون وطني": لا شيء غير القتل والنهب وسفك الدماء...لا أحد يفكّر ان هناك طفولة يجب ان تنمو...شفاهًا يجب ان تُقبَّل ...عيونًا يجب ان تتشابك!"

فهل مازال بإمكاننا ان نمارس الحب في هذه المدينة؟!

فكما يقول الكاتب "حسن سامي يوسف" : في دمشق فقط أستطيع ان ألملم بعضي الى بعضي.

انتظرتك طويلا بعد أن مللت النظر الى الشوارع... كانت قد مرت ساعة كاملة على جلوسي بمفردي الى تلك الطاولة...بدأ الناس يغادرون اماكنهم التي أخذها غيرهم...تغيرت الوجوه... وبدأت املّ الانتظار وأفقد الأمل بمجيئك...نظرت الى هاتفي ...كنتَ على الشاشة متصلا ...ظهرت الى جانب اسمك النقطة الخضراء الصغيرة...كتبتُ اليك مسرعة: وينك؟ فأجبتني سريعًا: مارح اجي...لئني بالدوام!

ما قلتلي ما بتداوم اليوم؟؟

شو بدي ساوي هيك صار معي!

طيب معليش مو مشكلة انتبه على حالك باي!

باي.

لم أرغب بسؤالك عن سبب تراجعك المفاجئ هذا؟ عن سبب عدم اعلامك لي مسبقًا بأنك لن تأتي.

كنتُ أحاول ارضاء غضبي الشديد الذي انتابني حين علمت انك لن تأتي ولكنني حاولت ان اتمالك نفسي.

في النهاية قد تكون صريحا معي ولم تأخذ إجازة كي تتمكن من المجيء اليّ.

شيء ما بداخلي كان يمنعني ان اصدّقك...لم اكن أرغب بشيء سوى رؤيتك فلماذا رؤيتك صعبة الى هذه الدرجة؟

إن الموت يلاحقني والوقت يداهمني ولا ادري اي الطرق عليّ ان أسلك كي لحظة بك...تركتني وحيدة على ناصية الدهشة تماما كما تفعل بي في كل مرة!

في كل مرة يأتي انسحابك المفاجئ الذي يباغتني كوميض من وجع يترك في هذا القلب ندبةً أخرى تنضاف الى الندوب التي انهكته بعد أن ظن ان شفاءه بك ؟

فلماذا تفعل بي كل هذا ياسيدي؟

هل اخبرتك أنني أتألم بك كل يوم؟

كان علي ألا انصاع الى قلبي منذ البداية فكما يقول كاتب المسرحيات الانكليزي الشهير شكسبير: "ليس للحب عقلٌ يسترشد بالحكمة"

إتجهت نحو البيت مهرولةً فهي ساعة مجيء الكهرباء لعلني أصل الى البيت فأشغّل جميع الاجهزة الكهربائية من غسالة الثياب الى شاحن الهاتف الى كاوي الثياب الى التلفاز الى الات رحي اللحم والخضار والات العصر لتحضير كل لوازم الغذاء....والقيام بكل الأعمال المنزلية التي تبقى معلّقة حتى قدوم الكهرباء وانتهاء وقت التقنين مؤقتا حيث عليك ان تقوم بجميع الأعمال المنزلية في وقت قياسي قبل عودة الانقطاع من جديد... فتارة يكون التقنين 2_2 وتارة 4_2 وتارة 3ساعات كهرباء _3 قطع حسب حالة الطقس والمعارك والاشتباكات ومحطات توليد الطاقة في البلاد....هذا طبعا اذا حالفني الحظ ونجوت من جميع القذائف والتفجيرات والعبوات الناسفة التي تستهدف الميكرو والسيارات... فهل يُعقل ان نصِرّ على ممارسة الحب وإيجاد مُتّسعٍ من الوقت لمشاعرنا وسط كل هذا العبث!

-6-

قول هيغل: التاريخ يعلّمنا ان الإنسان لم يتعلم شيئا من التاريخ.

ونحن لم نتعلم من حربنا المريرة كيف نحارب ومن نحارب ومع من نحارب!!

-غادة السمان-

لقد اخضر بأعماقنا جرح اسمه وطن...طوال سبع سنوات لن نقدر على تضميده ....

مع كل شروق سنبقى نذكر الليل، سنبقى نحاول الهرب من العتمة واللحاق بالغد املا منا ان نلملم ما تبقى بحوزتنا ونواصل طريقنا به، لكن مع كل شروق سيبقى يترآى لنا الامس، وسنبقى نذكر كم اصبحت ارواحنا قاحلة باردة مفرغة ...

ع كل شتاء سنتذكر صقيع الموت وبشاعة الدم ومع كل صيف سنتذكر مدى قتامة الصمت الذي يخيم علينا كل صائفة لسبع سنوات...مع كل رمضان سنتذكر موائد الافطار على الشمع في الظلام الحالك وارتفاع أصوات الآذان مرفقة بدوّي القذائف ...سنتذكر تراتيل صلاة التراويح المختلطة بأصوات صراخ النساء وبكاء الاطفال في السهرات الرمضانية ...سنتذكر أصوات سيارات الاسعاف المتزامنة مع السحور وقت الفجر لحظة شروق يوم جديد من الحسابات المتتالية التي لم تكن تنتهي الا وينتهي جزء معها بدواخلنا دون أن نشعر كم أصبحنا مفرغين من كل ما لدينا...مثقلين بكل ما لم يكن فينا قبل الحرب من ألم وقهر وعذاب وذل وجوع وتشرد على حوافّ قارات العالم !كم تبدلت الايام وتغيرت الحياة فينا !اصبحنا نرى في المرآة عيوننا وهي تحمل وطنا بداخلها ارهقه الحزن واثقله الفجائع؟ وطننا كره رائحة الدم وشبح الموت وصوت القذائف وبقايا الصواريخ والشظايا التي مازالت تحملها اجسامنا لتشهد على مرارة ما مررنا به وعظمة ما تحملناه وشدة ما صبرنا عليه، ما حصل معنا لم يحصل مع اي شعبٍ آخر على وجه هذا الكوكب !مازلنا لا نصدق ذلك! مازلنا نحاول استيعاب كل شيء رأيناه بأم اعيننا ولم نكن نقدر على فعل أي شيء لايقافه وانهائه !الموت والرعب والخوف والفقر والعوز والحاجة والبرد والجوع والقلة والخصاصة، كل هذه الأشياء جربناها على هذه البقعة من الأرض طيبة هذه الفترة من الزمن !العتمة والظلام والعطش والصقيع والحر...كل هذه الأشياء واجهتنا وجها لوجهٍ مجردين من كل اسلحة المقاومة سوى الصبر...صبر ايوب الذي فاق صبرنا صبره! حتى اصبحنا نمزح قائلين : للعيش على هذه البقعة من الأرض، يلزمك صبر ايوب أو مال قارون لتتمكن من مواصلة الحياة! جربنا جميع انواع الموت دون استثناء ...الموت بردا...الموت جوعا...الموت عطشا...الموت قهرا وحسرة على خسارة بيوتنا واغراضنا وممتلكاتنا...الموت حرا...الموت على ابواب الدول المجاورة ونحن نطلب اللجوء هربا من الموت لموتٍ آخر ...الموت بجميع أنواع الأسلحة التي أصبحنا نميزها جيدا ونتقن معرفة اسمائها وانواعها ... طالما ان بقايا شظايا الصواريخ والقذائف سكنت اجسامنا وأصبحت قطعا تلازمنا نعيش بها كأعضائنا .... أذكر ابيات ذلك الشاعر ابن جابر الاندلسي الذي يقول فيها : لا تعاد الناس في اوطانهم...قلما يرعى غريب الوطن واذا ما عشت عيشا بينهم..خالق الناس بخلقٍ حسنٍ نحن نكاد ان نكون الشعب الوحيد بعد الشعب الفلسطيني بين شعوب العالم الذي جاء الجميع من كافة اصقاع العالم ليعاديه في وطنه...ليخرجوننا من بيوتنا...ليهجّروننا من احيائنا وقُرانا... ويدمروا كل شيء كان لنا وبنيناه بسواعدنا وايدينا...طرقاتنا.. محلاتنا...جسورنا ....بناياتنا...بيوتنا...مدننا... الاماكن العمومية...المرافق العمومية...الخدمات المحلية..البنى التحتية...المصارف...البنوك...البريد... المغازات العمومية...المحلات الخاصة التي ليس

لأصحابها موارد رزق أخرى يعيشون بها...مازلنا نحاول استيعاب كل ما حصل لنا وما حدث معنا...يصعب تصديق كل هذا...كل هذه الاحداث المتسارعة التي عصفت بنا فجأة وأخذت في طريقها كل ما نملك...جميع ممتلكاتنا وذكرياتنا واشيائنا الصغيرة التي انهكتنا الحياة في تحصيلها وجمعها... فقدناها في لحظات معدودة ويصعب استرجاعها... عصفت بأرواحنا لتتركنا عارين امام وقع الصدمة وتحت أثر الدهشة...اصبحت ملامحنا جامدة لا يمكنها التعبير عن شيء ... وجوه واجمة تمشي في الشوارع شاردة الذهن... الكل فقد كل شيء .والكل يحاول العرب بما تبقى له...لعلّه ينفذ من هذا الجحيم...من هذه الخسارات اليومية التي نصحو كل يوم لنشاهدها في صمتٍ وعجزٍ دون القدرة على فعل أي شيء لايقاف هذا النزيف...هذا الهدر السائب من الوقت الذي يعصف بأعمارنا التي توقفت عقارب الساعة فيها سنواتٍ الى الوراء ... فلا أحد هنا اصبح بإمكانه ان يحلم بتحقيق اي شيء...فنحن نعيش على هذه البقعة من الأرض فقط لنخسر كل ما بحوزتنا بصفة يومية وبشكلٍ سريع...لا نكاد نقدر على استيعابه ...سرعة الأحداث تعصف بقدرتنا على الفهم والاستيعاب...بين الموت والهجرة والهرب من البؤس! مجرد ارواحٍ مفجوعة منهكة منهارة تمشي على الأرض واجمة لا تدرك طريقها ولا تعرف مصيرها الى أين ...لقد عبث الموت بما على هذه البقعة من الأرض ...لقد سكننا وتملكنا واضحى يعيش معنا معظم تفاصيل حياتنا ويطاردنا أينما حللنا حتى ولو كنا على أسرّتنا نحاول الهرب من كل ما حولنا ورؤوسنا على وسائدنا ...لا يرحمنا الموت ويلاحقنا حتى ولو اختبئنا تحت اغطيتنا وتحت أسرّتنا....وجودك في البيت لا يعني أمر قد أمّنت على نفسك من لحاق الصواريخ والقذائف بجسمك الصغير الضعيف...كم من واحدٍ منا رحل ضحية قذيفة اخترقت شباك غرفته لتقضي عليه وهو على السرير لو عبرت نافذة مطبخه حين كان بصدد تحضيره للقهوة !هذه الأرض تقاوم منذ زمن بعيد لتبقى على مبادئها وليحيا شعبها كما يرغب هو لا كما ترغب الدول العظمى والغرف المظلمة في الضفة الغربية من هذا الكوكب التي تخطط مصير الشعوب وتمحو مستقبلهم بمجرد" جرة قلم" وبضعة خطوط يرسمونها بأقلامهم نتسبب في موت ملايين البشر هنا في الشرق المنهك من التعب ...في الشرق الذي ارادوه أرضا للموت والحرب والدمار والخسارات والرعب والالم والدموع والصراخ والعويل... الشرق الذي ما يزال يقاوم ليحظى ببعض اللحظات الجميلة من الحياة!... الشرق الذي كتب على شعوبه الموت والالم والضياع والهجرة والتشرد والبكاء على ابواب الدول العظمى طالبين اللجوء رغبةً في حياة أفضل !الشرق الذي كتب عليه ان يعاني الأمرّين منذ عقود وعقود من الزمن...الشرق الذي كتب عليه ان يكتوي بنيران الحروب بجميع انواعها... الحروب الداخلية والخارجية... الحروب الدينية والطائفية والمعتقدية والعقائدية والعِرقية والايديولوجية... أتذكّرُ قول الكاتب الفلسطيني حسن سامي يوسف: ماذا زرعنا يا الله كي نحصد كل هذا الخراب؟

لم نبخل على العرب بشهدائنا ودمائنا في كل الحروب العربية ومنذ الثورة العربية الكبرى في العام1916 ....منذ زمن الدولة العثمانية التي أعدمت خيرة شبابنا في ساحة المرجة يوم 6 ايار اليوم الذي اصبح في ما بعد عيدا للشهداء في سوريا يوم إغتيل اكبر عدد من شباب سوريا على يد العثمانيين حين بلد جمال باشا والي بلاد الشام لدى الباب العالي حملة لعبور قناة السويس واحتلال مصر في حرب "السفر برلك" مخترقا صحراء سيناء واجهته القوات البريطانية هناك بمدافعها ورشاشاتها ففشل هجومه فشلا ذريعا فقام بإطلاق حملات اعتقال للزعماء والوطنيين والمفكرين العرب متهما اياهم بالخيانة والتسبب في افشال هجومه وعمل على التنكيل بالعرب وتعذيبهم حتى الموت وكان أغلبهم من المناضلين اللذين سعوا طويلا الى القضاء على الاحتلال العثماني وبناء الدولة العربية الواحدة المستقلة التي كانت حلمت للعرب انذاك.

صمّ جمال باشا اذنيه عن كل المناشدات والتدخلات من الدول المجاورة وخصوصا من الأمير فيصل والشريف حسين بن علي التي تدعو لإطلاق سراحهم وعزم على التخلص منهم جميعا على دفعتين يومي 21 اب 1915 و6 ايار 1916 في ساحة البرج في بيروت وساحة المرجة في دمشق قبل ان يُقتل على يد ارمني في مدينة تبليسي في العام 1921 قبل سنة من سقوط الدولة العثمانية... كانت مجزرة رحل فيها أفضل رجال سوريا شنقا حتى الموت في الشارع على مرأى من الجميع ابرزهم "شفيق بك العظم" الشاعر والاديب والكاتب والسياسي الذي يتقن 3 لغات والشيخ عبد الحميد الزهراوي زعيم النهضة السياسية في سورية....المفكر والصحفي ابن مدينة حمص الذي ساهم في تأسيس حزب الحرية والاعتدال وحزب الائتلاف إبان الحرب العالمية الاولى.... رجل العلم والدين والسياسة والأمير عمر الجزائري حفيد عبد القادر الجزائري والسيد رشدي الشمعة رجل القانون والادب مؤلف الروايات المسرحية التي قامت بآدائها فرقة مدرسة "مكتب عنبر" في عام1908 في حديقة الصوفانية قرب باب توما في المدينة العتيقة والذي ساهم في تأسيس المنتدى الادبي السوري عام 1909 والحزب المعتدل الحر عام 1908 والحمعية اللامركزية عام 1912 والشهيد عيد الذهاب الانكليزي الذي لقب بالبارود الانكليزي لشدّته وقوته وحماسته والذي كان من أهم رجالات السياسة وقتها والشهيد سليم الجزائري احد ابرز المفكرين النوابغ ومن مؤسسي جمعية العهد وغيرهم من الشهداء السوريين واللبنانيين اللذين رحلوا بسبب محكمة ديوان عالية المحكمة العسكرية العثمانية التي اختصت في قتل المعارضين العرب والتنكيل بهم ايام الثورة العربية الكبرى!

لم نبخل على العرب بدمائنا وشهدائنا في حرب قيام الكيان الصهيوني حين خسرت الدولة العثمانية مقاطعة فلسطين وكافة اراضيها العربية وسلمتها لفرنسا وبريطانيا بمقتضى معاهدة سيفر عام1920 ومعاهدة لوزان عام1923 وسلّمت هذه الاخيرة أرض فلسطين لليهود عام 1948 اتجه الجيش العربي مكونا من الاردنيين والمصريين والعراقيين واللبنانيين وغيرهم الى فلسطين سعيا الى تحريرها وكان السوريون في المقدمة ...كانوا يرغبون في القتال ضد الجيش الاسرائيلي البالماخ والارجون والهاچاناه والشيرتن.

خسرنا الالاف من شبابنا بقيادة العقيد عبد الوهاب الحكيم وعاد العرب الى بلدانهم بعد نهاية الحرب بنصفٍ مهزوم ونصفٍ شهيد وهاجر الفلسطينيون بيوتهم ففتحنا لهم بيوتنا ليقيموا معنا فيها.

ثم كانت نكسة ال67 فخسرنا الجولان التي اعتبرتها الأمم المتحدة في تلك السنة أرضا سورية محتلة حين صدر البيان عن جيش العدو يوم 10 حزيران 1967 معلنا بالكلمة:

الهضبة السورية في ايادينا.

واقيمت أول مستوطنة اسرائيلية عليها في 14 تموز 1967 ومنذ ذلك الوقت ونحن نقاوم ... ونحن نموت...ونحن نصمد...ونحن نرسم تاريخنا بالدم.

-7 -

الشخص المهم في حياتك ليس الشخص الذي تشعر بوجوده ولكنه الشخص الذي تشعر بغيابه.

-ابراهيم الفقي-

كان يوم الرابع عشر من فبراير ...لم ألتقي بك كل هذه المدة...طبعا لم اكن أنتظر منك اعتذارا عن المرة الماضية فلم تكن رجلاً يعتذر عما بدر منه...

كنتُ أتغافل عن اخطائك وعن تخاطئك معي ...كنت اتجاهل تكبّرك وعقدك وطبعك المكابر ونفسيتك المركّبة المليئة بالمتلازمات والامراض النفسية التي قرأت عنها كتب عديدة ودراسات متعددة كي اتمكن من فهمها ولكنّ شيئا ما فيك يجعلني لا أنظر الى غيرك...

كنت اجيدُ قراءتك جيدا!

كنتُ احسنُ معرفة نواياك...اسباب تصرّفاتك..ما وراء كلماتك..لماذا تفعل شيئا ما ولماذا تمتنع عن فعل شيء ما!

كنتُ اتقنُ فهمك وكنتَ دائما تكابر وتتمنّع عن الاعتراف بذلك.

ولكنني اصرّ على ذلك في كل مرة وعلى ان اثبت ذلك اليك بشتى الوسائل ... مشكلتي تكمن في أنني أشعر تجاهك بالأمومة...فأنا أشعر انك ابني والأم لا يمكنها ان تغضب من تصرفات ابنها أو تعاقبه عليها!

في كل مرة لا يراودني الغضب من تصرفاتك بقدر ما تراودني الشفقة عليك.

على جسمك المنهك وروحك المتعبَة وأفكارك المشوّشة وعقلك المُحتار...

اشعر بأن كل تصرفاتك ردة فعل عمّا يحصل لك وعما تعيشه كل يوم من تعب وعذاب...

تريدني ان أدلّلك ...أن احس بثقل ايامك وصعوبة حياتك...ادرك ذلك..في كل مرة تأتي الي كطفل يركض الى قدم امه ليمسك بها هربا من هذه الدنيا التي تخيفه ويعجز عن فهمها.

ولكنّ قسوتك وجفاءك كفيلة بأن تحولك في غضون لحظات من طفل أريد أن اخبئه في احضاني وأغلقت عليه قلبي الى رجل يحيرني فهمه...

لطالما تخطئ في حقي كي تعود الي في ما بعد وكأن شيئا لم يكن وتتحدث الي بطريقة طبيعية تدهشني ومن ثم تستغرب من غضبي وتطرح علي سؤال:

شو بكي شو صار لحتى زعلانة؟

وتتركني الى حياتي واسئلتي !

هل تراك نسيت أم تتناسى؟ هل ذاكرتك ضعيفة أم انك تستغبيني؟

لطالما تتعمد الغياب والانسحاب والتجاهل ثم تعود الي بحماس مثير للغرابة ثم اغضب من اسئلتي التي اطرحها عليك من نوع:

وين كنت كل هالفترة؟ ليش ما عم تجاوبني علي ميساجاتي؟ الله يرحم ايام كنا قراب من بعض! ليش هالغياب؟! ما بقا بدك تهتم فيني؟ ما بقا بدك ياني؟

وتعتبر انها جمل مستفزة بالنسبة اليك!

لطالما سعيت في جعلي اشعر أنني من يمنح هذه العلاقة أقل وانك من ينقذها في كل مرة كي تنجح وتتواصل!

انك من يسعى الى الاستمرار ومن يسعى الى العطاء ومن يسعى الى المحافظة على علاقتنا ودوامها...قرأت كل هذه المواصفات عما يسمى في علم النفس بالمنحرف النرجسي الذي يصطنع المثالية لإخفاء عيوبه...

أنا الآن وثقت بك مرة أخرى وادرك انك لم تتغير ...مازلت مزاجيا لستَ اهلا للثقة ولا شيء بإمكاني ان اضمنه معك...

واحاول تناسي ما حصل بيننا في السابق...

أحاول نسيان غدرك ولكنني لا أقدر ...ولا اتقن الحياة...

التقينا أخيرا ...جهزت لك هدية جميلة بمناسبة عيد العشاق الذي لا ادري حقا إن كان بإمكاني ان احتفل به معك أم أن علاقتنا لا تنضوي ضمن هذا النوع من العلاقات...

التقينا في الشام القديمة...

جلبت لك عدة كتب مغلفة ...

ضحكت... وقلت لي :ما هذه الهدية؟!

أردت أن افرحك بهدية بسيطة لأننا لم نلتقي منذ مدة .

افتحها لتعرف ما فيها!

ما هذا؟ كتب؟ شرفات بحر الشمال... أثر الفراشة... سمرقند... ليو الأفريقي...عتبة الألم ...رسالة الى فاطمة...

لقد جلبتهم لك لتتسلى بقراءتهم وتتذكرني من خلالهم!

ولكن لا وقت لدي للقراءة يا عزيزتي لا في الدوام ولا حتى خلال الاجازة.

اذا اتركهم ذكرى مني اليك.

لا لدي فكرة أفضل ... ما رأيك ان تتركيهم لديك...اقرئيهم ثم احكي لي قصة كل رواية منهم ....أريد ان استمع اليك وأنت تحكين لي قصة كل واحدة منهم....هكذا يصبح الأمر اسهل...ثم اني لا وقت لدي في الدوام... أنا اعمل ...أنا عسكري ووظيفتي هي قتل الإرهابيين وليست قراءة الكتب.

حسنا كما تريد! موافقة!

دعينا نجوب الشام سويا! انها ليلة هادئة ومقمرة.

ركبنا السيارة معا....سيارتك البيضاء من نوع kia واخذنا نجوب شوارع الشام سويا حتى خيم الظلام عليها وعدت الى البيت.

وجدت والدتي بانتظاري على ضوء الليدات والشموع ...قالت لي بحَيرتها المعتادة :

وينك لهلق لك بنتي؟

مساء الخير...شو مقطوعة الكهرباء؟

اي والله يلا غيري تيابك وتعي تعشي.

شو عاملة عشاء؟

جظ مظ

كمان جظ مظ؟ اي عفن قلبي !

احمدي ربك لك بنتي والله هالاكلة صايرة حق شغل شهر كامل لولا الخياطة ما كنا ندبر حالنا براتبك بس...لئنو اخوكي مابعتلنا مصاري من المانيا من اكتر من شهرين.

ايزا براتبين وهيك صارت عيشتنا كيف لو كنا عايشين براتب واحد...يا مفركة بطاطا...يا جظ مظ... نيال لي ماتو و لي هربو بالبحر.

ارتميتُ على السرير منهكة...

في الحقيقة لا ادري ان كنت اخطأت بالعودة اليك أم لا ...ولكن لا بأس بخوض التجربة ... فأنا لا أعلم نهايتها ولكنني اعرف حتما أنني سأعيشها ما استطعت...فلا وسيلة هنا لمقاومة كل هذا البؤس المحيط بنا سوى الحب...

لا ادري كيف عدت إلي وكيف أعادك الزمن فجأة...

لقد كنت روحا خاوية وحيدة منكسرة...خارجة للتو من وعكة عاطفية حادة كادت تعصف بكل ما في ... اتيتني كلحظة شفاء كان يحلم بها مريضٌ يئس من انتهاء دائه...

ألم تقل الكاتبة احلام مستغانمي أن الحب يأتينا في لحظة ضعف عاطفي فنلتقط اشارته تماما كما نلتقط رشحا بين فصلين!!

أتيت الي ك "أمل" اخير وقف على عتبة الألم يطرق باب اليأس ليقلب الحزن فرحا... ليقلب العمر حُلما..واغرقتني بك فجأة...في لحظة غفلة قلبية... التقطك هذا القلب كلحظة صدمة عاطفية جميلة اودت به في شراكك فغرق في عمق عينيك ومنذ ذلك الحين لم يجد مخرجه...لم يعثر على نهاية مطافه...نهاية حيرته... ألم يقل ذاك الشاعر...

انا الغريق فما خوفي من البلل...

دعني ارجوك...فإنه ليس الوقت المناسب للحب..ليس الزمن المناسب لأبتلي بك وأتبلل بوابل حضورك...

ارجوك دعني...

فإنني لا اجيد الحب...

انني اجيد الغرق لا غير...

وأنت لا مرافئ لمياهك...ولا شطآن لأعماقك...

فدعني ارجوك!!

إنه ليس وقتا مناسبا للحب!

لو انك تدري حجم ألمي بك!!

يال وجعي بك.. يال فرحي وشقائي بحضورك... بمجيئك...بقدومك...برحيلك...

فما الذي تراه يشفيني منك؟!

لم تكن علاقتنا طبيعية أو تلقائية منذ البداية... كانت علاقة غير متوازنة يملئها الصمت والغموض...ويحيط بها الخوف من كل جهة.. وكأننا نخشى بعضنا..وكأن كل أحد منا يخاف ان يقع في حب الآخر او ان ينجذب إليه فجأة فيتورط في علاقة عاطفية غير متوقعة معه.. كان شعور الانجذاب والدهشة يأخذ كلينا ولكنه يغمرنا بالخوف بدلا عن السعادة..

كان التطابق بيننا عميقا الى درجة غريبة...

حتى وكأن كل واحد فينا هو مرآة الآخر...ولكننا لم نكن مستعدين للانجراف خلف العواطف...والتفاعل مع هذه المشاعر الغريبة... كنا نخشى الحب ...نخشى هذا الجذب الذي يجمعنا كل مرة ...لما قاساه كل منا بسبب هذا النوع من المشاعر ...بسبب فشل هذا النوع من العلاقات واستحالة استدامتها... كنا نغرق في دوامة من الحيرة...وندور في حلقة من الاسئلة المتعددة التي تحوم حول هذه العلاقة.. هل تراها الصداقة أم الحب؟؟ الخضوع أم القوة ؟الانجذاب أم الاعجاب؟ الفضول ام الدهشة أمام هذا الكم الهائل من التطابق بيننا؟؟

لا يمكن لاحدنا ان يفهم طبيعة هذه العلاقة بهذه السهولة والبداهة..

انني كلما رأيتك أتذكر كلمات تلك الأغنية الجميلة التي تقول كن صديقي!

فكن صديقي ارجوك...فإنني كما قالت مي زيادة:أنا اخشى الحب!

ربما لا يزيد الحب عم كونه فكرة وفي النهاية لا شيء يقتلنا بقدر افكارنا...

لقد اتعبتني علاقتي بك يا سيدي ...

فكيف السبيل الى الخلاص من هذا الهلاك؟!

في الحقيقة لست ادري جيدا ماذا فعلت بي يا سيدي؟ ولكنني ادرك انك دخلت الى حياتي سريعا لتبعثر كل ما بداخلي وترحل فجأة... لقد باغتتني بقدومك غير المناسب في الوقت غير المناسب والمكان غير المناسب ...كفاصلة بين جملتين...كرشح بين فصلين...كصاعقة بين لحظتين...كيوم ممطر بين يومين مشمسين... كحرب بين فترتين هادئتين... لا أدري كيف كان دخولك هذا...لا ادري كيف قبلت بأن اسايرك وامشي في طريقك...ان اجيبك عن اسئلتك...ان اشارك في محادثتك...ان اتيه في حضورك الغامض المباغت الذي لم أحسب له حسابا...كنتَ كلحظة خرق هدنة تأتي لتهتك كل المواثيق الكونية والمعاهدات الدولية ...كنتُ في هدنة مع الحب خرقها حبك...لست ادري كيف لم امتنع عن فعل كل ذلك...لقد فقدت كل ما بحوزتي الآن ولم يبقى لي شيء سوى الندم...لقد هلكني شعوري بالحيرة المختلطة بالندم الذي تتآكل روحي يوميا به ...الندم على كل ما شعرت به تجاهك وكل ما فعلته...لقد كان خطأ فادحا أردت أن اخرج به من سلسلة قديمة من الاخطاء ...وهاهي تتواصل بك ومعك ...بعد أن أسأت التقدير وأخطأت الحساب... أسأت لنفسي قبل كل شيء تماما كما فعلت في السابق وتعدهت الا تعاد كل أخطاء الماضي ... اشعر بحقد كبير على كل من يجعلني اشعر بالندم على شيء ما قمت به...اشعر بكره شديد لكل من يجعلني اشعر بخطئي الفادح في حق نفسي ...اشعر بكره شديد لمن يتسبب في حيرتي وعدم فهمي لنفسي ...لكل من يتسبب في تبعثري وعدم قدرتي على حسن تدبير امري في قادم الايام...اشعر بكره شديد لكل من يجعلني أقضي ايامي شاردة الذهن واجمة... أمشي على هذه الأرض كالظلّ...لا ارى شيئا أمامي سوى افكاري التي تقتلني كل لحظة...اشعر بكره شديد لكل من يجعلني أهرب من الدنيا إليه ثم أهرب منه ومن نفسي الى وحدتي لأنسى واتناسى ما فعله بي وما فعلته بنفسي جراءه...

اشعر بإنعدام الرغبة في النظر الى وجهي...

لو كنت تملك القدرة على محو هذه السنوات من عمري بجميع اناسها واحداثها بجميع من عرفت وما عشت...لو كانت الحياة ورقة بإمكاننا ان نمحو كل شيء عليها بجرة قلم!

ولكننا مع الأسف لا نمتلك سوى قليلا من الصبر لنتمكن من مواصلة العيش به كي لا نموت يأسا ولا نقتل أنفسنا فينعتوننا بالكفر ويمنعون عن ارواحنا حتى قراءة فاتحة رحمةً بنا.. لكننا في الحقيقة نموت كل يوم ...نموت قهرا...ولا احد يرى موتنا هذا الذي يسكن بداخلنا ويعيش فينا ...لم ينخفض سقف طموحاتنا بل تلاشى.

لو انك تدري ياسيدي كم بحوزتي من الاسئلة التي ارغب في طرحها عليك ولكنني ادرك جيدا أن لا اجوبة لها بحوزتك...وانك لن تسعف نقاط استفهامي باستفسارك ...ولن تهب علاقتنا شيئا من الترتيب وستُبقي على هذه الفوضى التي بيننا...لن تمنحني شيئا من الفهم والاستيعاب لكل ما حدث...وسيستمر صمتك وتجاهلك ...لن تهب حيرتي بعض اهتمامك ولن توقف هذا الهدر السائب من الانتظار... انتظار شيء ما يرتب كل ما مضى من فوضى..

ارغب في فعل اي شيء ما يوقف صمتك...ويدفعك للتكلم...

ربما تظن أن صمتي ازائك وتجاهلي لك هو سبب نسياني لك وعدم رغبة مني في أن اكلمك...ولكنني اسعى من خلال ذلك فقط ان اتناسى كل ما فعلته بي...

انني اشعر بندم شديد لأنني تعثرت بك ولم أقدر على تجاوزك...لم أقدر على المرور قبالتك وكأن شيئا لم يحصل...دع الصداقة بيننا فالصداقة سكينة...واستمرار وتواصل...وأنا لا ارغب في بتر هذه العلاقة وخسرانك!

كان شهر اذار...

وما عاد للربيع من مكان في هذه المدينة الحزينة التي اصبحت جميع فصولها خريفا متواصلا لا نهاية له...رتّبنا لقاء خارج الزمن ...جمعتنا الصدفة في مقهة "قهوة عالمفرق" في القيمرية حين رأيتك في مساء الجمعة وقد كنت برفقة صديقتي نسرين زميلتي في الاذاعة ...كنتُ برفقة أحد اصدقائك...

حين لمحتني لم تقترب الى طاولتي كي تبادر بتحيتي انما اشرت الي بيدك...لا ادري ان كنت تتعمّد هذا البرود أمامي ام انك فعلا لا تشعر برغبة في مصافحتي والتكلم معي بالرغم من طول المدة التي لم أراك فيها...ام انك تخجل من جعل اصدقائك المقربين يعرفون علاقتك بي..أم ترتبك من رؤية الاخرين أنا سويا...أتسائل في نفسي ألم تخلق فيك هذه الفترة التي مضت شيئا من الحنين الي؟!

كنت اخفي لهفتي ودهشتي وسعادتي بصعوبة ولكنني كنت أحاول ان أبقي على إتّزاني قبالتك...ألا استرق النظرات اليك وأنا أراك تراقبني ...أحاول الاّ أركض مرتمية عليك...

أحاول ان اظهر بمظهر الفتاة الرزينة التي لا تقتلها لهفتها اليك التي لا تموت شوقا لرؤيتك كل يوم... التي لا تحنّ الى رائحتك

ولا تشتاق الى صوتك...الفتاة التي تبدو بالنسبة إليها رجلا عاديا.. أحاول ان لا ابالي..كنتُ أتصبب عرقا ويداي ترتعشان ولا تقدران حتى على الإمساك بفنجان القهوة التي بردت والأركيلة التي وضعتها امام نسرين وطلبت إليها ان تتظاهر بأنها لها فقالت لي:

إن كنتِ تريدين حقا ان تصبحي لا مبالية وألا ترتبكي قبالته مجددا دخّني الاركيلة بإرتياح وسترين ولكنني لم أفعل لأنني ادرك جيدا أنني لا أملك القدرة على الاتزان قبالتك وعدم الارتباك اثر رؤيتك... ومازلت لا ادري سبب ذلك ...ولا كيف أفعل ذلك..

انني احبك بالقدر ذاته الذي اخافه بك ...

تعمّدتَ ان تتأخر في المقهى برفقة صديقك...

غادرتُ أنا ونسرين واتجهنا خارج المدينة العتيقة ...كانت صديقتي بصدد التسوق وشراء بعض الاغراض في طريقنا حين لمحتني صدفة تراقبني وتلحق بنا ....تركت صديقتي عند ساحة الجامع الاموي مدعية أنني سأركب سيارة اجرة للعودة إلى المنزل ولحقتُ بك ...

قلت لك: أخيرا التقينا! هل انت في اجازة؟

نعم

كترانة اجازاتك هالفترة!

اي الف الحمدلله تعبت من الدوام.

سلامة قلبك ليش ما سلمت عليي قدام رفيقتي ؟

ما حبيت ازعجك وانتي مع رفيقتي قلت لحالي بلكي بتخجل وما بدها حدا يعرف بعلاقتنا !

ليش لحتى خبيك؟ بالعكس كنت رح افرح لو اني حسيت انك بتفتخر فيني قدام الناس وبتحب الناس تعرف علاقتنا!

مو انتي مرة كتبتيلي : لن اخبر عنك احدا...سأجعلك سرا يختبأ تحت الصمت؟!

هل مازلت تذكر؟

اجل طبعا...انني احفظ كلماتك بالتفصيل.

اخذنا نجوب شوارع دمشق في السيارة دون أن تكون لنا وجهة محددة نذهب إليها!

كنا نعبر شوارع دمشق تحت وابل القذائف التي تمطرنا ...وننفذ من العبوات الناسفة التي اصبحت تستهدف السيارات الخاصة ووسائل النقل العمومية في هذا البلد...

إن مغادرتك البيت في مدينة كهذه هو وحده نوع من المغامرة الخطرة التي لا تدري وأنت تقوم بها ان كانت ستكلفك حياتك أم لا...ان كنت ستعود ليلا لتنام على سريرك وتلتقي بأهلك مجددا لأنك قمت بمغادرة البيت...ام انّ ذاك الصباح سيكون الأخير في حياتك....لا مشكلة في ذلك...فحتى بقاؤك في البيت في بعض المناطق لا يمكن ان يضمن لك بقاءك حيل فالقصف جارٍ على البيوت والاحياء السكنية كذلك...

البعض فقد نصف بيته والبعض فقد الجدران فقط وبقي اثاث بيته فرجة للجميع...والبعض فقد كل البيت بمن فيها والبناية والحي بأكمله...إنه العبث!

لم يعد للحياة من معنى أو قيمة في مكان كهذا...فأين بإمكان العشاق ان يهربوا؟!

صعدنا الى قاسيون رغما عن كل المخاطر والظُّلمة ورغما عن التقنين الكهربائي وساعات انقطاع الانارة في المدينة ورغما عن أصوات المدافع والقذائف ورغما عن الاشتباكات التي تحصل في بعض المناطق من هذه المدينة...ورغما عن الحواجز العسكرية والطوابير....طوابير السيارات والخبز والغاز والبنزين ووسائل التدفئة وغيرها من المعاناة اليومية التي اصبحت شكلا من اشكال الحياة لسكان هذه المدينة وهذا البلد.

كل هذا لا يعنينا ولا يهمنا بقدر جمالية لقائنا هذا...

صعدنا الى قاسيون...كنت مستلقيا على قدمي وكنت أنظر الى عينيك طوال الوقت أريد أن املأ نظري بهما...فكم من شهر صبرت وأنا احسب دقائقه منتظرة هذا اللقاء...

أخذت صورة صغيرة من جيبي وقلت لك :

أتعلم انه بالرغم من كل تعقيدات شخصيتك وتركيبتك النفسية المعقدة أنت لست اكثر من هذه؟!

صورة؟!

انها لوحة الصبي الباكي للرسام الايطالي "جيوفاني براغولين" كان رساما بارعا في تصوير لوحات وجوه أطفال باكية وكانت كل لوحاته تحمل نفس الاسم ...كم تشبه بساطة هذه الصورة وحلاوتها ...نقاوتها وبراءتها...

ولماذا كان يفعل ذلك؟ لماذا لم يرسم سوى الاطفال؟

ربما كان بداخله طفل يبكي لم يجد احدا يمسح دمعه من على وجنتيه ويملأ فراغ روحه حنانا...فرسم أطفالا تبكي ...تماما مثلك!

لقد استهوتني هذه الصورة...ما قصتها ياترى؟ لماذا كان هذا الطفل يبكي؟!

ضع رأسك على صدري وسأخبرك قصتها كاملة...انها اللوحة الأسطورة ...بدأت القصة عام1969 عندما اطل ذلك الرسام ذات مرة من نافذة ورشته فوجد صبيا جالسا على عتبة الطريق قبالة حانة يبكي وقد كان مرتديا ثيابا مقطعة بالية فأشفق على حاله جيوفاني فإصطحبه الى بيته واطعمه وأعدّ له لوحة وقد كان خلال ذلك يسأل الصبي عن سبب بكائه فيستمر في ذلك دون أن يجيبه ومنذ ذلك الحين بقي يكرّر ذلك الصبي زياراته للورشة باكيا لا يتفوه بكلمة ...ولكن المفارقة تكمن في ان الرسام كان قد تلقى حذرا من احد كهنة الكنيسة في المدينة الاّ يهتم بذلك الصبي لأنه اينما ذهب اشتعلت الدنيا خلفه فالصبي قد تعرض بيته للاحتراق ورأى والده يموت متفحما أمامه لكن جيوفاني لم يعمل بنصيحة ذلك الكاهن وتبنى الصبي ...اثر ذلك بيعت تلك اللوحة بأموال باهضة حتى تحسن حال الرسام والصبي على حد السواء ونالوا ثروة طائلة واموال كثيرة...

وماذا بعد؟!

لكن يرعاهما دمّرت حياة الرسام وتفاجأ بلحاق خسارة فادحة بكل ما كان يملكه اثر احتراق بيته وهروب ذلك الصبي وفي عام 76 انتشارت اخبار عن حصول حادث بإحدى ضواحي مدينة برشلونة الاسبانية احترقت فيه سيارة تحولت الى كرة من نار اثر اصطدامها بأحد الجدران في المدينة حتى ان جثة السائق بالكاد عرفت هويتها ثم تبين لاحقا ان السائق لم يكن سوى ذلك الصبي الباكي الذي بيعت لوحته بالاف النسخ...لقي حتفه وكان يبلغ من العمر 19 عاما لا غير وكان اسمه "دون دونيللو" لكن الأغلب من ذلك انه لم يوجد في سجلات مدينة برشلونة اي إشارة الى حدوث هذا الحادث حقا أو حادث حريق بيت الرسام أو حتى وجود شخص باسم "دون دونيللو" لتكون بذلك هذه القصة مجرد مسحة من رماد في تاريخ رسم البورتريهات ثم انه في ايلول 1985 نشرت صحيفة بريطانية ان رجل اطفاء ادعى رؤيته لتلك اللوحة في بيوت عديدة تعرضت للاحتراق ...حتى ان رجال الاطفاء كانوا يتجنبون تعليقها على جدران بيوتهم ولم تتوقف الصحيفة عند ذلك الخبر بل اضافت نشر تحقيقات عن اناس تعرضت بيوتهم للاحتراق

لوجود تلك اللوحة فيها.

ايمكن للوحة ان تفعل كل هذا؟!

ومن يستطيع نفي ذلك؟ يقال انها سميت ب"اللوحة الملعونة أو لعنة اللوحة" بسبب ما لحق بكل من قام بتعليقها على جدران بيته وسيبقى كل هذا مجرد أسطورة لا يمكن لاحد نفيه أو تأكيده.

اذا أتلفي هذه الصورة حتى لا يحترق بيتكم!

ضحكت وقلت لك: سأفعل... لكن المفارقة ...كل العائلات السورية كانوا يعلقون هذه الصورة في بيوتهم...هل يكون ما لحق بنا من دمار وتشرد من لعنة صورة الطفل الباكي؟

لا... انها لعنة الانتماء الى الشرق الاوسط.

أتعلم ؟ لو ان جيوفاني براغولين حضر حرب سوريا ورأى وجوه اطفالنا الباكين لما احتاج ان يرسم كل تلك اللوحات لأطفال تبكي.

صحيح....هذه الصورة تتكرر كل يوم في بلادنا ولكن في الواقع وليس في لوحة!

كم تبدلت الايام وتغيرت الحياة...تغير كل شيء فينا ومن حولنا ...تغيرت ملامحنا ...طبائعنا...طريقة تصرفنا مع بعضنا البعض ...نظراتنا...تفكيرنا... افكارنا التي تراودنا طوال اليوم وعلى الوسادة ...روتيننا اليومي... مشاكلنا ...قضايانا ...أصغر تفاصيلنا واكبرها ...اثقلتنا هذه الحياة ...وهذه الانفس التي تحتويها اجسامنا المنهكة...كل نفس ذائقة الموت ولكن في سوريا كل نفس ذائقة المر...

إننا نتجرع المرارة على مهل ...اننا نعيش حياتنا بطريقة يكاد يكون الموت أجمل منها واكثر راحة ورفاهية منها...

كرهنا كل شيء حولنا وكرهنا انفسنا ...كرهنا رائحة الدم وشبح الموت واصوات القذائف وبقايا الصواريخ واعضاء الجثث على الأرض...

كرهنا الأخبار المحلية والدولية والمصطلحات اليومية التي أصبحنا نعيش بها ولا يمر يوم من ايامنا دون سماعها: سقوط قذائف هاون...سقوط صواريخ...يستمر القصف...وقوع ضحايا...شهداء...جرحى... اسعاف المصابين... نقل الجرحى الى المستشفيات ...ارهابيون... تفجير...وقوع اصابات... عبوة ناسفة...جماعات مسلحة...سقوط المنطقة ... حصار....ارتفاع الأسعار... انقطاع الكهرباء...انقطاع المياه...زيادة ساعات التقنين... فقدان مادة البنزين...انقطاع الغاز المنزلي...فقدان جرات الغاز... طوابير الخبز...طوابير الغاز...ارتفاع سعر المياه... ارتفاع الدولار...نزول الدولار... ارتفاع سعر صرف الليرة السورية....ارتفاع اسعار الذهب...تسريح دفعة من الجيش...وجوب الالتحاق بالخدمة الالزامية...تدمير محطات الكهرباء وطرقات امداد المياه والغاز الطبيعي...اكتشاف مستودعات الأسلحة والذخيرة ...وغيرها من المصطلحات

التي اصبحت تمثل حياتنا اليومية ...لقد كره هذا الوطن نفسه وكرهنا معه... وكأننا خلقنا كي نموت نيابة عن جميع شعوب هذه الارض في حرب لا ندرك جيدا اسبابها وخلفياتها ... تداعياتها ونتائجها على حياتنا التي تم نسفها ولم يبقى منها شيء سوى أننا مازلنا موجودين على هذه الارض ...نأكل ونشرب ونتنفس هذا الهواء المختلط برائحة الدم والرصاص والخوف وغبار الدبابات واصوات الصواريخ والقذائف... مازلنا موجودين ونسعى الى البقاء وننتظر الفرج وننتظر الحلول ونأمل حياة أفضل...نحن نموت في حرب لا تدري ماذا كان ذنبنا فيها سوى أننا خلقنا بجنسية "سورية" والتي اصبحت بدورها تهمة عالمية تجذب لحاملها الشبهات وتثير الخوف منه في نفوس الناس ...

كرهنا كل النشرات الاخبارية الدولية والمحلية ...كذب القنوات التلفزية العربية والاطنبية ووسائل الاعلام بجميع انواعها ....

هذا الوطن لم يعد يرغب سوى بشيء من السلام خارج اسوار مجلس الامن الدولي ودون إشارة من اسياد المجتمع الدولي أو قبول من الدول العظمى...هذا الوطن ينزف... ينزف كرامة عربية لأمة ما عاد لها من كرامة وسط الامم

وطن لم يعد ينتظر الانصاف من محكمة العدل الدولية بل يرغب فقط في منحه حق الحياة ..حياة بعض الاشياء الجميلة التي مازالت تنبض على ارضه وترغب في محيط نظيف وارض سليمة بعيدا عن غبار البنايات المدمرة ومواقع الاشتباك المحترقة وخارج اسوار الاكياس الرملية المحصنة للدبابات والاسلحة...

وطن اشتاق الى شروق الشمس الذي ترافقه أصوات المآذن ودقات اجراس الكنائس ليخرج اطفاله راكضين بأزيائهم الملونة نحو مدارسهم دون تفجير اجسادهم دون عودتهم الى بيوتهم اشلاء بل بإبتسامتهم المعتادة ولهفتهم مجتمعين حول الطاولة انتظارا لفطور والدتهم... وليخرج المصلون ويعمّروا المساجد دون اراقة دمائهم على السجاد المفترش ارضا في الجوامع..

كان لنا وطن جميل لكن لا أحد اراد له أن يبقى جميلا... أن يعيش...لا أحد منحنا حق الحياة على ارضه بسلام ومنحه حق البقاء جميلا... حق البقاء على قيد الحياة...

كانت سورية زهرة ياسمين تتوسط الأرض وترشها بعطرها....لا أحد أحب هذا العمر ولا احد سعى جاهدا الا تتلاش...

كل من مددنا له بد العون قام بقضمها بأنيابه...واكتفى بالمشاهدة صمتا من بعيد...

أي وطن أنت يا وطني؟!

وقد دفعت ثمن قيم أغدقتها على انذال لا عهد لهم ولا ميثاق ؟

اي وطن أنت يا وطني وقد دفعت ثمن كرامتك بين الاوطان وعدم قبولك بالخضوع والركوع لاسياد العالم وحكّام المجتمع الدولي؟!

فهذا الزمن يركع فيه قسرا كل من اصرّ على استقلاليته وأنفته!

كم انت شبيه بالوطن يا حبيبي!

ارادوا كسرك كما فعلوا بالوطن وسعوا لتدميرك كما سعوا لتدمير هذا الوطن... وكنت الاعتى والاقوى دوما...لا أدري ما الذي كان بداخلي يشعرني بأنك وطن ولست فقط جنديا وعسكريا ببدلة خضراء يحمل وطنا بين جنبيه وروحا بين كفيه لنبقى ويبقى الوطن عزيزا شامخا...

لقد كنت وطنا لي ...لم استطع مغادرتك ..لم أقدر على هجرانك...لم اقوى على خسارتك...كلما سعيتُ للاقتناع بضرورة ذلك الا وشعرتُ بالغربة التي يشعر بها مرتاد المطار في لحظة انتظار اقلاع الطائرة وتذكرة الفراق بين أيديهم... كنتُ ادري ان الزمن سيمنحني يوما ما تذكرة الهجر وجواز الفراق وسيجبرني على دخول قاعة المغادرة ...مغادرة هذا الحلم الجميل ليصفعني بالجلوس على كرسي الحقيقة ليقلع بي خارج احلامي الجميلة ويرجعني الى الواقع الكئيب لادرك الحقيقة ....وهي انك لست لي ولن تكون!

-8 -

"إننا في حرب دائمة لا من اجل فننا وحده ولا في سبيل مثلنا العليا وحدها ولكن مع أولئك اللذين كرستنا الحياة لنعطيهم شيئا جميلا"

توفيق الحكيم

9 نيسان...

رأيت منشورا جميلا على صفحتك على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك ...ظننت أنه لي وأنك كنت تقصدني حين كتبته...قلت فيه ...

"لاترى العين عيبا اذا أحب القلبُ قلبا"

لحظتها بدأ الشك يراودني...من كنت تقصد بكلامك ذلك يا منتجب؟! الى ماذا كنت تلمّح ؟! وهل من المنطقي ان تكون في حياتك فتاة أخرى غيري وأنت من عدت الي ونحن نقضي اوقاتا طويلة سويا حين تكون خارج الدوام؟! هل يعقل ان يحصل هذا؟ هل يعقل ان تقصد فتاة أخرى بكلامك وأنت معي كل هذه الفترة التي مضت؟! لا يمكن أن أجزم بعدم امكانية حصول هذا فلا أنا سأتمكن من القضاء على صمتك واجبارك على الاعتراف ولا أنت ستغير طبع الغموض والكتمان الذي فيك...

في الحقيقة كنت لا ارغب في بتر هذه العلاقة ... كنت اريد لعلاقتنا هذه نهاية أجمل من تلك التي جمعت الطاغية الايطالي الدوتشي مسوليني بعشيقته كلارا تحت حبل المشنقة في العاصمة الايطالية روما أواخر الحرب العالمية الثانية حين سألت كلارا عشيقها وقد عُلّقت بجانبه مقلوبة وإياه ورأسها الى الأرض وهي تستعد معه الى تلقي رصاصة الاعدام: هل انت سعيد لأنني سأموت معك؟! فلم يحالفها الحظ لسماع ما كانت تنتظره بعد أن اخترقت الرصاصة قلبه قبل ان يجيبها!

فتوفيا معا في اللحظة نفسها بطريقة مأساوية عاريين ومقلوبين ومذلولَين وسط شعب كره الفاشية والطغيان!

اذا كان هذا الأمر صحيحا ولست أنا فتاتك التي تريد....

كيف امكنك خداعي بهذه الطريقة؟!

كيف تمكنت من اغراقي بكل هذا الكم الهائل من الوهم؟! هل بإمكاني ان اغفر لنفسي كل هذه السنوات العابرة بلا معنى ؟! كل هذا الهدر السائب مو الوقت الضائع سدى؟! اذا كان كذلك!

علي منذ هذه اللحظة

ان اتقن التجاهل...ان احترف النيسان....ان اتعلم كيف أقضي يومي الطويل دون التفكير فيك أو تذكرك....دون الاشتياق اليك...دون أن اتمنى الحديث اليك...

دون أن اخلق محادثات وهمية لم تحدث بيننا...دون أن اختلق احداث خيالية لا تمت للواقع بصِلة تمنيتُ لو انها حدثت...دون أن أتأمل صورتك لساعات طويلة...دون أن اقبل الهاتف حين أراك متّصلا...دون أن اراقب اسمك على مواقع التواصل ...دون أن أنتظر ان تفتح لارى النقطة الخضراء على صورتك تلك التي تفرحني كثيرا لسبب لا ادركه....دون أن أراقب مواعيد نومك ويقظتك...دون أن أراقب دائرة اصدقائك التي تتسع وتضيق في كل مرة...دون أراقب قائمة الفتيات اللاتي تحبهن وتتقرب اليهن واللاتي تتالى اسمائهن جيئةً وذهابا في كل فترة من فترات حياتك...

علي ان اتناسى الحنين الذي يأخذني اليك ...علي ان اتناسى الشوق الذي يذبحني نهائيا....منذ اليوم علي ان اتقن الحياة خارج خارطتك ! منذ اليوم عليك ان تكون صديقي لا غير

الخميس...الساعة الثانية بعد منتصف الليل....دمشق...منزلي

ها أنذا في ساعة متأخرة من الليل...

احاول جاهدة ان أحصل على بضع ساعات من النوم ولا اقدر...أفعل كل ما في وسعي لأريح هذا العقل من مرض التفكير الزائد ولكن رأسي يأبى ذلك ويكاد ينفجر وجعا من ملايين الافكار التي تراوده كل ليلة وتمنع عنه النوم....أشعر بجمود في اطرافي وتعب جسدي شديد ولكن النوم لا يريد ان يرحمني ويهبني بضع ساعاته لكي اتمكن من االستيقاظ ومباشرة يومي مرة أخرى...في كل ليلة يسخر مني عقلي ويخاطبني قائلا لماذا تنهضين باكراً كل صباح؟ اي انجاز يستحق ان تفعلي ذلك من أجله ؟ منذ سنوات تستيقظين باكرا كل صباح وتذهبين للى ذلك المكان المشؤوم قبل الجميع دون ان تحققي شيئا يذكر او تصلي الى نسبة 10% من احلامك.. لماذا تكلفين نفسك كل هذا العناء؟ يكلفني النوم جهدا كبيرا...انه يجهدني بكل حواسي حتى اتمكن من الحصول على بعض منه بصفة متقطعة فأن أنام في بداية الليل لا يعني انني لن استقيظ عدة مرات بعد ذلك...في الفترة الاخيرة لم أجد حلا اخر يسعفني سوى الاستعانة بأقراص النوم...لم اكن اتصور يوما انني في الثالثة والعشرين من عمري سأدمن اقراص النوم للحصول على بعض ساعات منه...كي اتمكن من الذهاب الى ذلك المكان المشؤوم الذي تغيبت عنه عدة مرات بسبب عدم النوم ليلة كاملة ... امتنع عن استعمال الهاتف..امتنع عن الحركة...اطفئ جميع الاضواء ...أقرأ سورًا من القرآن..دون نتيجة تذكر...فأقراص النوم اصبحت الحل الوحيد رغم ما تلحقه بي من ألم... حتى هي لا تعطيني مفعولا جيدا ولا تمنع عني الارق ..اشعر بتقلص عظام وجهي بعد تناول الحبة...بوجع شديد في رأسي ...بتباطئ دقات القلب...بخمول في اطرافي دون نتيجة تذكر... ربما مفعول السيجارة اقوى من مفعول هذا الدواء الفاشل..

في كل ليلة يؤلمني جسدي بشكل لا يوصف وارى اوجاع الدنيا بألوانها جميعا دون المقدرة على الحصول على النوم العميق الذي ارغب فيه ...اي خطيئة تراني ارتكبت؟

متى ينتهي كل هذا الجحيم يا رب؟

هي إمرأة عودته دائما ان تعود إليه في لحظة صمت لتدخل الى دهاليز نفسه وتنزل الى اعماقه لتكهربها بوحا...لتضيئها اشتعالا بالكلمات ثم ترحل...

وهو ذاك الذي لن يغفر لها الدخول الى اعماقه والتلصص على اسراره القابعة في جزء مظلم من روحه.. ولا يزال يتسائل كيف أمكن لها ذلك؟

هي التي تعرف عنه كل شيء ولا يعرف عنها شيئا...هو ذاك الذي يبحث دوما عن إمرأة تقتحمه بشراسة ...تسرقه من نفسه وحين أتت إليه خشي منها...

هي معه كل شيء ...هي معه العاشقة والكاتبة والانثى والمرأة والمناضلة والبطلة ...حضوره هويتها... حضورها وجودها وفي غيابه تُلغى... فقط معه تلاحقها الافكار وتطاردها الكلمات ويلازمها القلم...تماما كما تلاحقه بندقيته وتطارده رصاصاتها وتلتصق بجسمه بدلته العسكرية.....

تذهب الى ورقها محمّلة به تماما كما يذهب الى الموت محمّلا بالوطن ...في حبه تكمن كينونتها وذاتها..تنتسب إليه تماما كانتسابه الى الوطن .... إليه وحده تنتهي تماما كما ينتمي هو الى سورية وحدها ....هو وطنها وقدرها ونصرها وأملها...

هي التي تجلس اليه في كل مرة وتبدأ الحديث مع ذلك الذي لا يتقن بدء الكلام والدخول في الحوار كعنصر أول ...وحده من يفهمها ووحده من يحيرها صمته الذي لا ينتهي ...ذلك الذي تقرأ ما بداخله رغما عن كتمانه ...تربكها ممارسة الحب معه فهو ذلك الذي يكره البوح...اتعبتها قراءته وأضحت اسراره تخيفها ... تخشى غموضه وتحاول استدراجه للبوح والاعتراف دون جدوى...بينما يواصل هو سرقة كل شيء منها... عقلها ....وقتها....تفكيرها...

هو الذي لم يحترف الحضور ولم يتقن الغياب وهي التي ما تعلمت في مدرسة الحب كيف تكسبه ولا عرفت كيف تحافظ عليه جيدا ...كم كان عليها ان تمتلك من الصبر والقوة والصلابة...كي يبقى لها وحدها...كم كان يجب عليها ان تملك من الوقت في رصيدها كي لا تحتاج للتعويض عن خسارتها له؟

-9 -

"لا أحد يعلم من من النزاعات تحدث بداخلك وكم يكلفك الأمر لتبدو بخير"

- مارك توين-

هنالك خساراتٌ لا خسارة بعدها...

ستظن بعد فقدانك ذاك الشخص الذي كان الأول الذي يسكن قلبك انك ستقدر على تجاوزه ونسيانه مع الايام وانك وإن لم تقدر على مداواة جرحك بنفسك فالزمن سيتكفل بالامر...ولكن سرعانما تكتشف انك قد اخطأت الظن وأسأت التقدير.. فأنت في كل محاولاتك اللاحقة لم تكن تبحث سوى عن شبيهٍ به... لم تكن ترغب سوى في التعويض وهماً عن خسارتك اياه...لم تكن تتمنى سوى ملأ مكانه الشاغر الذي لا يمكن ان يُمتلأ سوى به هو لا غير...أنت تدري جيدا انك بخسارتك اياه خسرت كل شيء معه...فقدت احلامك التي تبخرت ومات أملك في ان تعيش تلك الحياة التي تبنيها في خيالك...وضعتك الحياة رغماً عنك امام الأمر الواقع وأمرتك بالتخلي عن خيالاتك الواهمة وفعَلت...

لا خيار لك سوى القبول بالواقع ...فالحياة هي التي تحكمنا ونحن مجرد ضعفاء فيها لا نحكم انفسنا بإرادتنا ولا ندير مستقبلنا برغبتنا... ولا يمكن أن نعيش احلامنا التي نريد..فالخيال لا يمكن ان يصبح واقعاً وهذه الفكرة يصعب على عقولنا تقبّلها ونبقى نصارع طويلا لمحاولة التعايش معها والقبول بها ..هناك خسارات لا خسارة بعدها...وهنالك فقدانٌ لا فَقدَ بعده..فأنت من بعدِه اضحى كل همِّك ان تجد شبيها به..ان تجد ملامحه في ملامح اي شخص تلتقي به...ان تجد صوته وحركته وطباعه في كل أحد يلتقيك أو يقف قبالتك... ستلقي بنفسك في محاولات كثيرة...ستزج بنفسك في علاقات عديدة...ستتورط مرارًا... لن تسعك الأرض بوسعها من التيه الذي يحصل في داخلك...ستحاول وتحاول ولكنك تدرك جيدا أن كل شيء قد انتهى وانه ليس من نصيبك واقدارك ..وانك لن تحصل عليه ولو بكيت كطفلٍ فقد لعبته...لن تعود لعبتك اليك...واضحى عليك ان تشتري غيرها.. أصبح عليك اقناع عقلك بأن ليس كل ما ترغب به يمكن الحصول عليه...سيعيش بداخلك طوال حياتك ولا أحد يعلم بذلك ولا احد سيراه قابعًا في اعماقك..مكانه الظلمة والعتمة التي بداخلك ولا يمكن ان يخرج الى الضوء مطلقًا!

ستعيش به وسيعيش فيك ...وستبحث عنه طويلا في كل شيء من حولك مع انك تدرك ان كل ما تفعله لا يعدو سوى مجرد عبث!

سنبقى طوال حياتنا نبحث عن شخصٍ يشبه ذلك الذي فقدناه ولن يعود... نبحث عن عوض لخساراتنا الكبرى العصية عن النسيان والتي تأبى مغادرتنا ...

اصبحت لا اقوى على مغادرة الفراش طوال هذه الفترة...

اصبحت رؤية هذه المدينة الحزينة يؤذيني ...اصبح الذهاب إلى العمل يرهقني... والحديث الى الاخرين يتطلب مني جهدا لم اعد املكه...

اصبحت خطواتي خارج الفراش ثقيلة...

لا اكاد أقدر على حمل جسدي ورفع ظهري حتى لكي أذهب الى المطبخ لاتناول الطعام... اي حياة هذه التي نعيشها؟ في هذا البلد...انت في محاولة دائمة لتحب نفسك

أنت في محاولة دائمة لتحب نفسك وتتأقلم مع طريقة حياتك الرتيبة المملة التي تقتلك...ولكن شيئا ما يحدث حولك يقتل كل شيء جميل بداخلك...لا تقدر على استيعابه ولا تتمكن من فهمه...

أن تنتظر شيئا جميلا يحدث لك طوال سنوات... ثم تجد الشغف قد مات فجأة فيك تجاه كل شيء...

شيء ما فيك يتغير لا تقدر على ايقافه...

شيء مافيك ينكسر ويتحطم كل يوم...

شيء ما فيك ينتهي...وتشعر انك تنتهي بانتهائه كل يوم...

ربما تكون أنت بذاتك...انها نهايتك ...نهاية كل شيء يربطك بالحياة....احلامك التي تتبخر ...علاقتك التي تتبدد...شغفك الذي يُقتل كل يوم....وفرحك الذي نسيته تماما... حتى كدت لا تصدق انه قد كان لك نصيب منه يوما ما...وليته يعود ولو للحظات...

أنت تطلب الرحمة كل ليلة حين تضع رأسك على وسادتك ...وتنادي الاالاه بصوت عال يخترق السماء ولا يسمعه أحد غيرك...ولكن لا شيء يتغير سوى الى الاسوء...متى يتوقف كل هذا؟؟ متى تعود اليك تلك الروح القديمة التي فقدتها ...تلك الروح المفعمة بالحياة التي دعستها الايام وقضت عليها ...تلك الروح التي تبددت امام عينيك....وتركت جسدك جثة عارية عن الحياة ترتعش بردا من هذا الصقيع الذي يملأ العالم حولها...

ترتعش خوفا من هذا الوهم الذي يملأ رأسها الذي تضعه أنت كل ليلة على الوسادة ظنا انك تهرب من العالم فإذا بك تحاول الهروب منه ... من افكاره المرهِقة...من اوهامه التي تمزقك كل ليلة...

انك تلجأ الى سريرك كل ليلة لتهرب من العالم ...فأين ستلجأ يا ترى لتهرب من افكارك التي تملأ رأسك كل ليلة وتحطمك؟

متى ينتهي كل هذا الألم يا الله؟ متى ينتهي كل هذا الانين الذي لا أحد يسمعه في دواخلنا غيرك!

لقد هربت من الدنيا اليك فإلى من سأهرب منك يا ترى؟

أخذت في المداومة على الصلاة وقراءة القرآن حتى احافظ على توازني النفسي وصحتي العقلية وسط كل هذا الخراب والالم ...فوحده الله لن يخذلك حين تلجأ إليه...

اذكر قولة جميلة للامام الشافعي يقول فيها : تعلق بالله ثم بنفسك فلا نفسك تخونك ولا الله يرحل..

كيف لي ان انسى خيبتي؟! الانطفاء والخيبة لا يمكن لملامح وجهك ابدا ان تخفيها...منذ زمن لم تعد ملامحي تشبهني... لم يعد هذا الوجه الذي اراه صباحا على المرآة وجهي...ولم تعد ملامحه تشبه ملامحي التي اعرفها وتعودت على رؤيتها كل صباح في السابق....لست ادري هل المشكلة مني أم من ملامح وجهي...هل اصبحت عيناي عاجزة عن ان ترى شيئا جميلا في هذا الكون الى درجة أنني اصبحت أرى ملامح وجهي كذلك ...أم أن هذه الحقيقة ...لقد تغيرت ملامحي بسبب تغيري الطارئ الذي لا ادري كيف

يمكنني ان افسره لنفسي ...لا يمكنني ان استوعبه أو احسن فهمه أو اتقن التحدث عنه حتى حين اكلم نفسي...لقد تغيرت ملامحي حتى اصبحت غريبة عني ..لقد تغير وجهي كثيرا...اصبحت ارغب في معرفته...انه وجه لا يشبهني ...لا اعرفه...لم اتعود عليه...أرى السواد تحت عيناي ولا يمكنني ان افسره بأي طريقة كانت ..أرى الانطفاء في عيناي ...أرى القتامة...الملل...الحيرة..التساؤل ....الاسئلة التي لا اجوبة لها...الخذلان...المرارة...القادم المبهم الذي لا يمكن تحديده...

المجهول ...الخوف من كل شيء ...

الكره لكل ماحولي...التعب من كل ما يحيط بي... التعب من نفسي...هذه النفس التي بين جنبي أثقلتني...اثقلني وجودها على هذه الأرض... في هذا الكوكب...في هذا الزمن... لم يعد بإمكان اي شيء أن يسعني... كل هذا الفضاء الكبير والرحب الذي أرى نفسي نقطة صغيرة فيه وكائنا ضعيفا يمشي تائها في وسطه... لا يمكنني استيعابه...لا يمكنني ان أجد اجوبة لأسئلتي...لا يمكنني القضاء على حيرتي والتغلب على مخاوفي...لقد اصبحت كل هذه الأشياء تلازمني ...اعيش معها وبها كأنفاسي التي استمع اليها كل ثانية...كنبضات قلبي التي احيا بها.. ارغب في التحرر من نفسي ولكن لا سبيل الى هذا... لا يمكن لأحد التحرر من الوجود المثقل بالحيرة والخيبة والشتات والقتامة والملل..والخوف والالم... نحن سجناء كل هذه الأشياء التي نعيش بها كل ثانية ...لا يمكن لأحدنا ان يتخلص منها ...لا سبيل لذلك... أنا ادرك هذا... لا يمكن لهذا الشقاء ان ينتهي لأننا خلقنا لنشقى في نهاية الأمر!

يال شقائي بك وبعمري هذا الذي اعيشه!

كل شيء حولي ينهكني وترهقني مقاومته...

كتبت لك في تلك الليلة :في كل مرة اكتشف كم أنني بحاجة اليك... الى حضورك...الى وجودك...الى بقائك..

إنني بحاجة إلى الإبقاء عليك بداخلي حتى لو حلمًا ...

بحاجة إلى الاحتفاظ بك ولو وهما...

كي أُبقي على ما تبقى من هذا القلب المنهك...

لا بأس برحيلك الآن يا سيدي ...فأنت لن تغادر هذا القلب على كل حال...

فبعثت لي برسالة فيها...

"قصدتُك من كلّ الجهاتِ منادياً

أجرني من القيدِ الذي شدّ مِعصمِي

أعدني لنفسِي كم تغرّبتُ حائراً

أحنّ لضوءٍ في سماءِك مُنعمِي

إذا طال صَمتي، ركض القلبُ ضارعاً

وشعّ الحُبِّ نوراً على فمِي

فيهدأُ قلبي بعد خَوفي وحَيرتي

وقد زاد عطرٌ من هواك في دمِي"

-10 -

"بعثر كل ما لا يشبهك...بعثره من دون احساس بالمرارة"

_ حسن سامي يوسف_

جاءت صديقتي نسرين الى منزلي بعد ملاحظتها لغيابي عن العمل والاذاعة لمدة عشرة ايام ....حاولت اقناعي بالخروج في نزهة الى شوارع دمشق....لعل ذلك يكون كفيلا بتحسين مزاجي...فأجبتها: لا أظن الأمر سيجدي نفعا فرؤية شوارع دمشق ووجوه اهلها الحزينة وملامحهم البائسة تزيد حزني وتعاستي واكتئابي ...ولكنني في نهاية الأمر قبلت...

دخلنا الى الهافانا...كانت تقود السيارة وتتحدث الي طوال الطريق دون أن انتبه الى ما كانت تقوله ...لم تعد لدي القدرة على التركيز مع من يحدثني ...لم اعد اتقن الاصغاء الى احد ولا الاستماع الى أحاديث أحد..

اخترنا طاولة قريبة الى واجهة المقهى الزجاجية المطلة على الطريق العام

قالت لي: ماذا نشرب في هذا الحر يا ترى؟

بل ادري! ما رأيك بالعصير؟

فكرة جيدة !

جاء النادل بثيابه البيضاء ومنديله الأسود يحمل الطبق فارغاً بيده اليمنى بعد أن لبى رغبات للزبائن ليرحب بنت ويسألنا ماذا نريد ان نشرب.

اجابته نسرين قائلة: كأسي عصير فراولة واركيلة لو سمحت! التفتت الي وقالت :هالقعدة رح تكلفنا حق شغل شهر كامل...الحمدلله أنو أخي عايش بالنمسا وعم يبعتلنا مصاري كل شهر والا كنا متنا من جوعنا وفقرنا ... العمى راتب الشهر ما عم يكفينا نطبخ جظ مظ ومفركة بطاطا...فاتورة المطعم صارت 100 الف ليرة صرنا مشتهين الطلعة والفسحة.

دخلك لمين الاركيلة؟!

الك طبعا ! أعرف انك مكتئبة ولا شيء سيحسن مزاجك بقدر الاركيلة ...ستشعرين بالارتياح صدقيني.

ومن قال لك أنني متعبة كي ارتاح؟ أنا ارغب في الشعور بالنسيان...أريد ان انسى كل شيء حصل معي في هذه الفترة...أريد ان انسى كيف أحب ...كيف أشعر بالعاطفة نحو احدهم..أريد ان اصبح كائنا حديديا ...قلبه لا يشعر ولا يحب...أريد ان اتقن كيف أحب نفسي ولا أحتاج الى احد يسندني ويشعرني بأنني قوية...أريد ان اقوى بمفردي على العيش ...لا أن أكون قوية بوجود احدهم... ربما وفاة أبي وأنا طفلة في عمر الخامسة جعلني ارغب في للتعويض عن هذا الفراغ الذي عشته... أريد دوما الاستناد على احدهم..كبرت ولم أتعلم بعد كيف اسند نفسي بنفسي.

لماذا تواصلين التعلق به اذا كان لا يمثل سندا لك...اذا كنت لا تشعرين معه بالامان والقوة... اذا كنت دوما تخافين ردات فعله غير المتوقعة...تصرفاته الطفولية...غيابه المفاجئ وعودته المباغت في كل

مرة...تعامله معك بمزاجية... تجاهله لك حسب مزاجه...أنت تعيشين في خوف شديد...في تردد وحيرة...لماذا تواصلين ممارسة كل هذا وتعذبين نفسك؟! انت لا تضمنين الى اليوم إن كان يريدك حقا ان لا...لا تضمنين بقاءه ...لا تعرفين اذا كان يريد الزواج والارتباط ان انه يتسلى لا غير.

صدقيني انني اطرح نفس الاسئلة في نفسي كل يوم إن علاقتي به تؤذيني..انني أحبه ولكنني أتألم به كل يوم...انه يؤذيني ...علاقتي به توجعني...انه شخص مؤذٍ! ولا يشعر بأنه كذلك ...ولا يعرف ذلك حتى!

قلت لك عديد المرات اتركيه وشأنه انه سطحي تافه لا يستحقك لو كان يرغب بك حقا كان قال ذلك لك بكل صراحة ووضوح لماذا كل هذا الغموض وهذه التحديات والتصرفات غير المفهومة؟ ...الحب سلام وليس صراع وحرب!

أحيانا أقول في نفسي علي ان أكتفي به كصديق حتى لو لم يكن قدري وحلالي ولن ارتبط به...يكفي ان نبقى اصدقاء...فكرة خسارته بصفة نهائية ترعبني وتجعلني اشعر أنني بمفردي وسط هذا الكون... انني اشعر ان كل هذا الكوكب ليس الا منتجب... اشعر انه العالم بأسره بكل ما فيه...أنا احتاج وجوده في حياتي.

وكيف كنت تعيشين قبل ان تتعرفي اليه؟ ماذا كنت فاعلة في الوقت الذي سبقه ؟ قبل ان تتعرفي إليه كنت موجودة وتعيشين حياتك بشكل طبيعي لا شيء يزعجك أو يؤرقك! صدقيني ياحبيبتي لقد عشنا حياتنا نقتات على فتات العلاقات العاطفية هربا من الألم المحيط بنا ظنا أننا نلجأ الى المكان الصحيح نبحث وسط كل هذا الركام المحيط بنا عن شيء يصلح للعيش...عن حياة تستحق ان نعيشها وليس حياة كهذه...عن شيء ينتشلنا من تحت انقاض هذا الخراب العائلة الذي لحق بنا فنسرع ونتمسك به لنقدر على مواصلة هذه الحياة...نبحث لأنفسنا عن نقطة ضوء وسط كل هذا الظلام...عن قطرة مياه وسط كل هذا الجفاف العارم ... لماذا نبحث عن الحب؟ لماذا نشعر بهذه الحاجة الدائمة لأن نحب والحاجة الماسة لأن نجد من يبادلنا هذا الحب ...ان هذا الشعور لا يتوقف بداخلنا ابدا ...انها حاجة بشرية فينا... نحن بحاجة لمن يحنو علينا ويستمع الينا دون ملل ... لمن يهتم لامرنا ويشعرنا بأهمية وجودنا واهمية مانقوله وما نفعله...لمن لا يستصغرنا ولا يحتقرنا ولمن يفهم مانقوله ويوافقنا ...لمن لا يعارض اراءنا ولذلك نحن نرتمي بأحضان كل من نجد فيه كل هذا ....خاصة اذا لم تمنحنا عائلاتنا كل هذه الأشياء ...لم تمنحنا الحب والاحتواء والحنان والاصغاء والاستماع الينا... هذا أمر طبيعي ...نحن نهرب من واقعنا ...من عائلاتنا...من وحدتنا ...من حروبنا ...من مآسينا.. ومشاكلنا حتى لو لم نجد الشخص المناسب سنتمسك به كالغريق الذي يبحث عن اي شيء ينقذه ليبقى على قيد الحياة حتى لو كان يدري أن هذا الشيء لن يدوم بل سرعانما ما سيزول سريعا وفي النهاية سيغرق حتما!

نعم صحيح انه يسمعني ويعطيني الفرصة لاتكلم بحرية وهو يشعرني دوما بأهمية ما اقوله ولهذا احببته ....عشت في عائلة لا أحد يسمعني فيها ولا احد يهتم بي فيها...لا بما افعله ولا بما اقوله...لا يهمهم شيء سوى ان اعمل واعطيهم المال ...لا يهمهم شيء سوى ان اساعدهم في مشاغل الحياة اليومية ...مللت ...أريد الزواج ومغادرة ذلك البيت الذي كرهته...عائلتي لم تمنحني شيئا سوى الألم والوجع والتعب والمشاكل.

افهم ذلك ولكنه ليس الشخص المناسب يا فرح صدقيني ابحثي جيدا وستجدين من يقدر قيمتك ويحبك حقا دون مزاجية وتناقض ...دون كذب وافتراء.

صحيح كلامك...انه يعاملني بمزاجية ...مللت ردات فعله اللامتوقعة...مللت تصرفاته الصادمة وطريقة تعامله الغريبة ...لست أقدر على استيعاب ما يقوم به...في كل مرة يدهشني بطريقة جديدة...جربت معه كل شيء...الصمت...الغموض.. القوة...السيطرة...الابتعاد... الهروب...الاقتراب والاهتمام...الحنان... الاستماع والاصغاء إليه... ولكنني لم اتمكن من الحصول على شيء ...لست أضمن شيئا معه...اشعر ان علاقتي به يمكن ان تنتهي في اية لحظة...انه لا يحبني ولكنه يحب اهتمامي به ...يحب مشاعري تجاهه وغير مستعد لمبادلتي هذه المشاعر ...يحب كتاباتي عنه ويفرح بمنشوراتي وكلماتي على مواقع التواصل الاجتماعي ويفرك بقرائتها ولا يمكن ان يبادلني كلمة واحدة مما اقوله له....برأيك اي شيء أفضل من أن يشعر المرء ان هنالك من يحبه ويهتم لامره ويفكر به طوال الوقت؟! انه يشعر بسعادة غامرة و يستمتع بذلك ولكنه لا يرغب بي ولا يريدني ...أشعر بذلك وحدسي لا يكذب ابدا...لا ادري لماذا لست اجرؤ على قول هذا له...لقد أردت مرات عديدة ان اطرح عليه سؤال: هل ترغب بي؟ اذا كنت لا ترغب بي اخبرني ...على الاقل لا أضيع وقتك ولا تضيع وقتي ولا تجعل مني مجرد غبية تبني احلاما شاهقة على وهم وتصنع اماني من اشياء لا وجود لها...لكنني لم ارغب في قول هذا ...هو في النهاية لن يحسم الأمر ولن يخبرني الحقيقة ...هو شخص مراوغ ...يدعي انه لا يرغب في ان يجرح مشاعري ...انه يدرك أنني في النهاية مهما اهتممت وتقربت واستمعت إليه وقضيت وقتا معه لن ارتبط به ولن اصل إليه ...خليني عم حاول شو المشكلة طالما هو مستمتع بهالشي وعم يتفرج عليي ...عم ياخدني ع قد عقلي وعم يسايرني...

اصبحت لدي رغبة شديدة في انهاء هذه العلاقة ولكن شعوري بحاجتي الشديدة إليه يمنعني...أنا في حيرة شديدة من امري!

استمعي الي جيدا يا فرح...اذا كان هذا الرجل يحبك ويريدك فسيكون هو من يهتم لا انت لا شيء يمكنه ان يمنع الرجل من ان يبادر بالتقرب والاهتمام حتى الخجل...اذا احبك لن يمنعه شيء من السعي الى الظفر بك والفوز بك ومواصلة حياته معك ربما حين تقرب منك في البداية لم يكن يكذب كان يرغب في العودة اليك لأنه يشعر بنوع من الذنب تجاهك ولم يكن يخدعك لقد شعر برغبة في التقرب اليك ومعرفتك اكثر وقضاء وقته معك والجلوس برفقتك لكنه حين فعل ذلك ربما لم يشعر بأنك أنت هي الفتاة المطلوبة التي يرغب بها حقا والتي يريد ان يواصل حياته معها ويشاركها ما تبقى من عمره...الزواج ليس امرا سهلا يا عزيزتي ...ثم لا تنسي انه ليس من طائفتك انه يريد ان يُبقي على مسافة الامان بينكما لأنه اذا تقدم اليك ورفضته عائلتك ستحصل مشاكل اكبر من هذه لكثير انه لا يرغب في ان يكون سببا في فراقك لعائلتك!

يا نسرين اننا لم نصل الى مرحلة الخطوبة ابدا انه لم يقل لي ولو لمرة انه يرغب بي ويريدني ولكنه احيانا يطاردني ويلحق بي ويهتم ...يعني الشغلة بمزاجو مابعرف ليش هيك عم يعمل!

هذا ما يفكر فيه صدقيني ولذلك لم يطرح مسألة الارتباك عليك ولو لمرة افهي جيدا...الاجيال السابقة كانت تقول"الجواز قسمة ونصيب" ولم يكذبوا في ذلك إن لم يكن لك نصيب فيه فلن تناليه مهما حاولت ان تجعليه مهتما وقريبا ومهما حاولت خلق الظروف المناسب لذلك أو اقناع عائلتك به مهما فعلت لن تحصلي عليه لأن الامر ابسط من ذلك بكثير ...هو ليس قدرك.صدقيني لم يكن مخادعا ولم يكذب ولكنه الآن أصبح لا يشعر بأنك الزوجة المناسبة له لو كان يرغب في ذلك ما الذي سيمنعه من قول ذلك لك؟! لا تضغطي عليه ....انسحبي بسلام واعتبريها تجربة جميلة وجيدة لا أكثر لا تقعدي الامور انها ليست مأساة انها تجربة عاطفية تعلمتِ منها الكثير ...سيصعب عليك الأمر في البداية ولكنك ستتجاوزينه وتنظرين إليه في يوم من الايام على انه مجرد ماض لن يعود ....نحن من نعقد الامور ونجلب التعب لأنفسنا ولكن الحياة

ابسط من ذلك بكثير ...لماذا نبقى مع احدهم لوقت أطول ونحن ندرك جيدا انه ليس لنا وليس قدرنا ان نتجوزه ونرتبط به؟!

ولكنني يا نسرين حاولت جاهدة فكيف لي الانسحاب بهذه البساطة ؟ لا يمكن لي ان انسى أنني عرفته واحببته وفعلتُ كل ما فعلته من أجله وحده لا غير ! الأمر ليس سهلة!

فرح! انني احدثك عن الانسحاب لا عن النيسان لا يمكن لأحد فينا ان ينسى شخصا أحبه مهما طال بنا العمر لن ننسى احدا من اللذين مروا بنا ...سيعيش بداخلك الى الابد...هذا صحيح ككل اللذين احببتهم في حياتك وغادروك ...فقط عليك بالاقتناع انه ليس من نصيبك وليس قدرك....فلو إن الله اراد لكِ شيئا ستناليه رغم كل الظروف العصيبة...سيسخر الله لك الأرض بمن عليها كي يصل هذا الشيء اليك سيكون الزمان والمكان وكل الظروف مناسبة وملائمة.... سيجعل الله قدومه سهلا لا تعب فيه...ولكنه ليس لك! صحيح انك لن تنسيه ...لا أحد يمكن ان ينسى من أحب يوما ...لن يكون انتصارا مبهجا ان تتخلي عنه فجأة وتنسحبي من حياته...ولكنك ستكونين انضج واقوى بدونه...لا يمكنك مواصلة حياتك وأنت تنتظرين شيئا لن يأتي ارحمي نفسك ارحمي عقلك وقلبك وتفكيرك انت تحترقين كل يوم ... الا يكفي كل هذا؟! لقد اصبح ككرة من نار يلتهم كل شيء حولك وبداخلك ...يلتهمك ويؤلمك

ستتألمين ولكن الأمر سينتهي برضائم وقبولك .. والاهم ان تمسحي فكرة انه قام بخداعك من عقلك تماما ...ليس مهما ان يكذب أو يصدق ...انه ليس من نصيبك وهذا الأهم! أنا لن اقنعك اعرف ذلك ولكن الزمن كفيل بأن يقنعك بهذا ...اتركي جرحك للزمن سيعالجك!

معك حق !

حسنا لدي فكرة كي تختبري حبه لك..ابتعدي لفترة عن انظاره وعن مواقع التواصل الاجتماعي وعن الهاتف والاتصالات ولا تجيبي على مكالماته وتجنبي الاماكن التي يذهب إليها حتى لو طلب لقائك لا تلبيه ولا تتحدثي إليه ...اذا كان في حاجة اليك سيهرول نحوك واذا كان وجودك كغيابك بالنسبة إليها فلن يفتقدك أو يسأل عنك جربيها لعل ذلك يكون كفيلا بأن تتأكدي من مشاعره.

فكرة جيدة...سأفعل!

-11-

"هذا قدري معك ...ان لا نعيش قصتنا وان اكتبها"

-غادة السمان-

المشكلة في الحب هي ان البعض يظنون ان تعاستهم المطلقة هي في الفراق...وليتهم يدركون خطئهم الفادح...فالوصال نوع اخر من الشقاء وكان شقائي بك بوصالك اكثر من فراقك وخسرانك...

أعلم ان رهانك كسري ...تريد ان تصل بي الى مرحلة ارمي فيها جميع احصنتي وبيادقي وتقع كل قطع الدومينو قبالتك لتعلن نهاية اللعبة منتصرا... أعلم أنك لن تروي فضولي بوضوحك ولن تهب اسئلة شيئا من اجوبتك ...فأنا كلما طرحت عليك سؤالا ارغب من خلاله توضيح علاقتي بك تراهن على سحبي اياه هربا من الاعتراف بالحقيقة ....لكن ليس تدميري في مقدورك يا سيدي..

مازلت أجلس الى طاولة الحب لاستحضرك على ورقي كلما اشارت ساعتي الى الواحدة بعد منتصف الشوق...سيبقى بحوزتي اوراق كثيرة لرسائل لم تُكتب ومواعيد للقاءات لم تحدث..

كم اختلقتُ لنا مواعيدا وهمية ومحادثات لم تحصل واشياء لم نقلها ... وكل ذلك فقط كي أبقي على قصتنا هذه التي احببتُها وفعلتُ المستحيل لاجلها لاجل ألا تموت وتنتهي ...

ليته كان لدينا القدرة على اختيار البداية والنهاية في كل قصة نعيشها تماما كما يختار الكتاب مصير ابطالهم في الروايات ... فنكون نحن من نضع القفلة كمايسترو لا يخرج صولفاج المعزوفة عن اصابعه التي ترسمها بدقة لا متناهية... لو كانت لنا هذه القدرة لما سقطنا في فوضى المشاعر التي عشناها على أثر أول لقاء لنا بمن نحب...

كم يبدو صعبا بالنسبة الي ان القي بما في قلبي على مسامعك واخبرك بأنني ارغب في الارتباط بك ومواصلة هذا العمر معك حتى نهايته!

دوما تطرح علي سؤال: من أنا حتى تغمريني بكل هذا الاهتمام؟ حتى تجبرني على الاعتراف بما يختلج في سريرتي تجاهم لكنني لا أملك الجرأة على قول من أنت بالنسبة الي...

فنحن يا سيدي ...دوما نقول ما يجب ان يقال لا ما نريد قوله...ولانني كتابة علي ان أبقى لاكتبك على الورق واعيش برفقتك في الخيال فقط....فكل بطل من أبطال رواياتي هو ليس الا أنت...

تسألني : ليش أنا مينني لحتى بدك تكبري بعيني؟

بينما أنا الاجدر ان اطرح عليك هذا السؤال "أنا مينني؟ أنا شو بالنسبة الك؟"

لماذا اقتحمت حياتي؟ لماذا اتيتني لتخرق هدنتي مع الحب؟ بعد أن اقسمت الا أحب !

أتيت لتقلب حياتي...لتنازلني في معركة أنا لستُ اهلا لها...لماذا فعلت بي هذا؟ لقد اصبحت سيدة الخسارات بإمتياز أثناء محاولتي لكسبك ... اصبحت سيدة الفشل وأنا أبحث عن طريقي الى قلبك...وكنت

تكتفي بالجلوس على كرسي المراقبة صمتا من بعيد... تستمتع بمحاولاتي الفاشلة فلا اقتربتَ ولا ابتعدت...لا رحلت ولا جعلتني ارحل لا نسيت ولا ساعدتني على نسيانك...لست ادري ماذا تريد مني بالضبط؟

الى متى ستبقى على عنادك وسأبقى على عنادي؟ كبريائي وكبرياؤك لا يمكن ان يتنازلا قطّ! فإلى متى كل هذا العبث؟

اصبح على احدنا ان يمضي...ويرحل!

انت الذي بين كرسي وطاولة تتركني طفلة تقف حيرة ودهشة امامك دون أن تجد تفسيرا لما تقوله وتقوم به...

انت الذي بين سطر وآخر تكتبني وتمحوني وبين كلمة وأخرى اصمت وجعا امام ما اصبحتَ عليه وأقول في نفسي :لقد اصبحت لا اعرفك!

اصبح لا اعرفك وكل صباح اطرح على نفسي سؤال : من انت؟!

انني اشعر بالذنب عن كل لحظة ظننتُ فيها أنني قريبة منك وانني افهمك واجيد قرائتك...

لقد كتب علي الله أن تبقى وجهي الدائم وجرحي الذي لن يندمل بكتمانك الذي يقتلني ....

دوما تنكر علي كل ما اقوله لك عن نفسك لأنك ترى ان في الاعتراف ضعف ...ولكنني على يقين أنني افهمك جيدا وادرك ما في اعماقك...

يا سيدي يا سيد الكبرياء والكتمان! الى متى يتواصل صمتك؟

واهم أنت ان كنت تظن أنني لا اعرف عنك شيئا لأنك لا تخبرني بشيء ...انني أحتاج الى صمتك فقط كي افهم كل شيء ...أنا التي في كل مرة اكتشفك بحدس قلمي الذي لا يخطئ ابدا...أتعرف عليك بكلماتي... دون أن انتبه الى أنني بكل حرف كنت اكتبه كنت اجعل منك شخصا اتمناه ان يكون وليس أنت حقا....

كنت اوهم نفسي انك بطلي بينما كنت اجعل منك بطلا نسجته في مخيلتي فقط...

هكذا هو كل شخص تحبه...

سترسم له صورة مثالية في مخيلتك ولكنه ليس كذلك ابدا...

كان وقتي الذي اقضيه دائما نص لا يختتم وحديثي اليك دوما ينتهي ببضعة نقاط استرسال يقطعها صمتك ويحرمها رؤية الضوء ... لذلك سأبقى اكتبك واكتبك حتى اثبت لك انك لست وهما وأنك الحب الوحيد الذي كان حقيقيا في حياتي...

ربما يجب علي المحافظة عليك لابقى كاتبة...

فأنا اذا بقيت معك سأخسرك كل يوم...أما اذا فارقتك فسأخسرك مرة واحدة لا غير...

فنحن في نهاية الأمر سنصل الى قناعة يوما ما بأننا دون خسارات لن نقدر على مواصلة الحياة... سنتوقف عن الركض خلف الاشياء ومحاولة التمسك بها كالاطفال...

لقد غرقت وهما حين ظننت أنني باهتمامي بك سأشفيك من ماضيك واوجاعك...بينما كان كل شيء يخبرني بأن راحتك هي في الانعزال والكتمان والصمت...

فلماذا علي أن أحزن على فراقك بعد الان؟ أنت ماعدت كما عرفتك ولن تعود منتجب الذي تعرفت إليه واحببته منذ سنوات ...لقد تغيرت كثيرا ...

علينا دوما ان نمتلك الجرأة على انهاء الاشياء علينا ان نتعلم الا نعود لمن خذلنا مرة لأنه سيكررها ثانية ونتيجة ذلك ستكون وخيمة على قلوبنا ..

إن الحب هو طريقنا نحو السعادة لا الشقاء فلماذا نقبل ان نشقى به؟

إن الحب الذي فيه ألمنا ومهانتنا يجب ان نصنع نهايته ونضع حدا له.

نحن لم نتغير بل فقط ادركنا انه علينا ان نوقف هذا النزيف وهذا الهدر من العطاء والاغداق دون مقابل سوى الألم المتواصل والجروح التي يتسع شرخها كل يوم...

سيبقى صمتك يقضي على مكانتك في قلبي ...

سيبقى يستفزني ويدفعني الى كرهك اكثر فاكثر... في الحقيقة لا ادري اذا كان صمتك عفويا أم انه متعمد لابعادي واستفزازي ... ان الصمت هو موت العشق يا منتجب....أنت ترى في الصمت هيبتك وعنفوانك ورجولتك وكبريائم وأنا أرى فيه اهانة لي...

صمتك يا عزيزي لا يرحم... صمتك رعب يقضي على الامان الذي اشعر به برفقتك...

الصمت يا منتجب لا يزيد الانثى الا ألما وقهرا ....

الصمت هو ضوء أحمر ينبهنا بأن الطريق الى من نحب مشدود امامنا وأن علينا ان نعود ادراجنا وكرامتنا بأيدينا قبل ان تضيع منا في سعينا الى الوصول الى شخص يفصلنا عنه رفضه الاقتراب منا...

لذا علينا ان نغير وضعية التموقع على رقعتنا قليلا فنقدّم كرامتنا ونؤخر ذلك الذي سيبقى صامتا طويلا الى المقعد الخلفي للذاكرة...

أحيانا يصبح علينا ان نصنع النهاية بأيدينا قبل ان تأتي الينا النهاية...فبصنعنا بها نكون قد كسبنا كرامتنا وبمجيئها تلقائيا تجر معها المذلة لنا.... لذلك فالأفضل أن نكسب اللعبة ونحافظ على نقاط تقدمنا بالانسحاب عوض الخسارة ...

ففي النهاية ليست الحياة الا لعبة تموقع ...يجب علينا ان نعرف أين نتموقع ومتى... وأنى علينا تغيير مكاننا ومكانتنا في هذا العالم.

لقد اصبحت شخصا مخيفا يملك قدرة خرافية على التخلي والنسيان ...

اصبحت رجلا قوياً ليس شبيها بذلك الطفل الذي كنت اعرفه...

انت لم تعد ذلك المكسور المخذول الذي عرفته... الذي كسرته علاقته بحبيته القديمة التي خذلته... انت اليوم اكثر قوة وقدرة على التجاوز والنسيان...

لقد شعرت خلال فترة الصيف انك طويت صفحة الماضي ووجدت من يغدق عليك الاهتمام والرعاية والحب...

بدأت اشعر ان رائحة العشق تفوح من فؤادك وأنك لم تعد وحيدا...بدأت احس باقتراب النهاية ...نهاية حب لا يمكن له أن يتواصل... لأن بطله حكم عليه بالموت...

هربتُ منك طوال تلك الفترة.... فعلت ما قالته لي صديقتي تماما... هربت واختفيت عنك وانتظرت عودتك ولم تعد...وبدأت ادرك قيمتي لديك...ومدى تعلقك بي... ربما تسائلت كيف كانت لدي القدرة على هذا الغياب المفاجئ ... لماذا تريدني ان اواصل اهتمامي بك ورعايتي وحبي واغداق مشاعري على شخص لا يبادلني اياها...

دوما جعلتني اشعر بأن حبي لك لا يجب ان يكون... يجب ان اتوقف عن هذا ... حبي خارج عن شريعة العاطفة وعاطفتي تجاهك هي جرم والمجرم لا يعترف بخطيئتك ...لذلك اكتفيتُ بالصمت وحاولت ان اوهمك أنني نسيت وتوقفت عن كل مشاعري تجاهك...

إننا لا ندري حقا ما السبب الذي يجعلنا نلزم الصمت في اللحظة التي يجب ان تقول فيها كل شيء... لكننا ندري جيدا ان اللحظات فائقة الجمال والاستثنائية تحتاج صمتا طويلا ودهشة صارخة أمامها...لأن الكلام سينقص من هيبتها...

ففي الحقيقة صمتنا هو اللحظة التي نقول فيها كل شيء ... هو اللحظة الاصدق والاجمل واللحظة الوحيدة التي نكون خلالها كما نحن حقا دون تجميل وتزوير..دون تأنيق ولا رتوشات...

التزمت الصمت وانسحبت...

ففي النهاية كل حب ولد خارج رحم المنطق مآله الموت وهماً ....

إننا لا يمكن ان نتبلل سويا تحت غيمة عاطفية ماطرة تجمعنا سويا على وقع قطراتها بتناغم واحد نرسم من خلاله الحب بقلمنا...

لا يمكن لنا ان مجتمع وان نمشي خارج سلّم المنطق ..

فإنه سيكسرنا وسينكسر بنا...

ربما تسائلت كثيرا لماذا فعلتُ ذلك فجأة ...ولكن هل يمكنني البقاء مع شخص غريب عني اشعر بالخوف منه؟واشعر بنهايتي وموتي لحظة النظر في عينيه؟!

كنت مرعبا...مخيفا...غريبا... مبهما ...كشخص ظننت أنني اعرفه جيدا وانه الاقرب لي لاكتشف عكس ذلك فجأة...

تركتك في اوج الحب...

وسط الشعلة تماما...احترقتُ بك واحرقتك...وتركتُ نفسي رمادا قبالتك ...بقيت ابحث عن نفسي طويلا من بعدك... أبحث عن ذاتي ...عن وجودي ...عن كينونتي...

لم اكن أصدق خلال تلك الفترة ان اسمك تحول الى خبر ناسخ (كان) وانني قد حولتك الى ماض وأنك قد اصبحت ذكرى...

تألمتُ بك بالقدر نفسه الذي صنعت به سعادتي يوما ما...

كم يصعب علينا ان ننظر لاناس كانوا الاقرب يوما ما فأضحوا فجأة غرباء... مخيفين...يوحشنا وجودهم ويسلبنا الدفئ ويبللنا برودة..

كم كان تشرين دافئا في السابق وكم سيصبح شهرا باردا منذ اليوم...

لأول مرة اشعر أنني كنتُ هدف رصاصتك ...وأنك قتلتني بدلا عن الإرهابيين هذه المرة...كنت أنا هدفك هذه المرة...كنت أنا عدوم بدلا عن العدو...لم يعد وجودي مناسبا لك...انهيتني تماما كما أنهيت ماضيك الذي كان يزعجك...

هل انت سورية التي أحبها؟!

من جرح الاخر؟ من انهى صاحبه؟ من قتل من؟

في الحقيقة لا اهتم بكل هذا!

فوق الإدمان بدرجة...كنت افكر بك طوال الوقت!

لماذا فعلنا هذا ببعضنا البعض؟ هل كنا ندري ان هذا أفضل لكلينا دون أن نخبر بعضنا بذلك؟ لطالما فهمنا بعضنا البعض بصمت دون أن نقول شيئا...

لطالما صمتت شفاهنا لتترك الفرصة لعيوننا لتتفوه بالحروف المبعثرة خاصة دون أن ترتب شيئا من الكلام فيضيع كلينا في فوضى افكاره ونرحل وفي جعبتنا الكثير كي يقال...

ربما قتَلَنا الصمت وضحك منا الحب الذي لا يحبذ الصمت والظلام...

كان حبنا في حاجة الى الكلام المتبادل الذي تشي به شفاهنا...كان في حاجة الى شيء من الضوء الذي يغذيه كي يبقى ولكننا من قتلناه عنوة كنبتة لم نعتني بسقائها فماتت اهمالا منا عن غير قصد ... لا نصلح للحب يا سيدي ...كان الحب اكثر كرما منا فقدّم لنا الكثير دون أن نقدم له شيئا....

كان الحب اكبر منا وكنا صغارا ...اربكنا للحد الذي اصبحنا فيه أطفالا لا نجيد التعامل مع الامور ...فإما ان نجهش بكاء أو تنهمر ضحكاتنا سخرية من انفسنا

لقد هربت منك وهربت مني لأنني كنت إمرأة تكتب تفاصيلك ...كخطوط يدها تحفظك وتعرف ما بداخلك وتتقن قراءة صمتك ...كنت إمرأة تمتطي خيالك وتروض احلامك ...تحكي واقعك وتبدد مخاوفك... وتعطي من قلبها لتفقَر جميع نساء الأرض ممّن احببنك...

كنتُ أنثى لا توقف اسئلتك ونقاط استفهامك ولا تمنحك اجابة وكنتَ رجلا يخاف إمرأة تفهمه...

لكن لا يهم فقد كان انتصاري عليك لحظة نجحت في ان اسكن ذاكرتك في غفلة منك...ستحاول وتحاول نسياني ولن تنجح..

سأبقى حلمك وكابوسك ...

سأبقى واقعك ومستحيلك ...

ومبتغاك الذي لن تصل إليه...

ربما خُلق الحب ليكون غايتنا التب لا تُدرك....

ولكن إن لم يكن لي فيك حظا فقد كان لي فيك حبا وإن لم تكن لي في الحب قدرا يكفيني انك في حياتي كنت عمرا جميلا...لن يتكرر ابدا !

-12-

"إن إشباع العاطفة يؤدي الى الشقاء بدلا من السعادة لأن حاجاتها كثيرا ما تتعارض مع مصلحة صاحبها الى ان ينتهي الأمر بالقضاء على هذه المصلحة"

شوبنهاور

في يوم 15 ايلول...

قلت لها وقتها "هنالك اناس يصلون مؤخرا لحياتنا ويسبقون اناسا بعمر"

قلت تلك الجملة لرهام حبيبتك الجديدة التي عرفت لاحقا انك قد عرفتها في يوم 11/16 اي قبله عودتي بشهر ونصف لا غير...

تلك الفتاه طالبة التربية بكلية تشرين صديقة زوجة اخيك الاكبر ....

لم تدري وقتها كم كانت تلك الجملة كصاعقة مدوية اخترقت قلبي في لحظة صدمة خاطفة بين لحظتين من حب ووهم...

اي رجل انت هذا الذي عرفت؟

دون دراية منك وقتها جعلتني اعرف صدفة انك تمارس الحب مع فتاة لم يمضي على معرفتك اياها إلا بضعة ايام ...

انا التي طالما كتبتك ودعيت معرفتك اكتشفت انني لا ادرك منك شيئا ....

اي مثال للخداع والمناورة انت؟

اي أنثى انا؟

اي شيء كنت اعيش كل هذه الفترة؟

اي شعور يحق لي ان اشعر به الان؟

لم تكن صدمة لي يا منتجب.... لم تكن صدمة ولا خيبة ولا حزنا كانت فقط لحظة لم اعرف فيها من انت؟

انا التي طالما كنت اريدك لي هوية ووطنا وأتوسلك اللجوء...

اجد فتاه اخرى تستوطنك وتشاركني انتمائي هذا...

متى جاءت؟متى عرفتك؟ متى اقتربت منك حتى تشعر بحبك ؟

اي شيء هذا الذي كنت تقوله لي طوال الفترة الماضية اذا؟

اذا كنت ما تزال على قدرة ان تحب وتمارس العاطفة... اي شيء كنت اسمعه منك طوال هذا الوقت؟

اذا كنت بخير وما تزال على قدرة ان تمارس الحب كا جميع.... اي شيء هذا الذي رايته منك كل هذا الوقت؟

هل هو وهم من كنت تبيعني اياه؟

اكنت تجعل مني بطلة قصة واهم من نسيج خيالك بينما كنت انا بصدد قراءتها وانتظار نهايتها هذه التي كانت حبك لفتاة اخرى...

اتراني كرست كل هذا الوقت لشفائك مما عشته حتى تشفى في النهاية على يد اخرى؟

هل كنت لك أمّا حتى تكون لي كطفل عائق لوالديه...

فعلك هذا هو دليل على ان اقدميتي في قائمة علاقاتك لا تعطيني صلاحية ان تكون لي...ان أشغر مكانا ما لديك... ان تراني كما أراك...

لم كنت تبقي علي طوال هذا الوقت... أشفقة منك على جرحي بفراقك مرة اخرى؟

هل يمكن للخيبة التي تلت سابقاتها ان تكون اكثر قوة منهن؟ اي شيء يمكن ان يشفيني منك؟

ان يفارقك حبيب يعني ان يرحل تاركا لك مهمة الفراق... ان تشفى منه كما تركك...

ان تختار نسيانه كما اختاره هو فراقك...

ان يسهل عليك تجاوزه تماما كما سهل عليه الرحيل...

تماما كحرب انتهت لتترك لشعب ما مهمة اعادة بناء وطن...

وان اسعى لبناء هذا الوطن بمشاركتك فترحل وتتركني واقفة على شفا الذهول انتظر جوابا شافيا منك لما رأيته..هو اصرار منك لان تتراجع مكانتك في قلبي...

المؤسف هو انني ارى فيك دوما شيئا من ابي الذي لم يتركني قط....وان اغضبني فلن يتركني انام على غضب...

وماذا لي ان اراك بعد الان؟

من انت الان؟

هل ساجد نفسي اليوم ايضا في حاجة لتناسيك وتعلم التخلي عنك وجعلك ماضيا؟

هل سيتكرر ما فعلته بي منذ فترة؟

هل عدنا لنفترق من جديد؟

هل عدنا لنكرر القصة نفسها بأسلوب جديد؟

لماذا تريد دوما ان تحكم بالنهاية على قصتنا هذه التي اسعى دوما لصناعة بدايتها؟

لماذا تعشق النهايات وتحبذ الفراق بقدر ما اكرههما؟

تماما كيناير وتشرين... احدهما يعلن بداية السنة والآخر ينذر باقتراب نهايتها...سأبقى دوما اصنع البداية التي تنهيها انت...

الان فقط فهمت كل شيء... وأدركت انك اتقنت دورك بامتياز...

جعلتني كل هذا الوقت اجلس قبالتك لمشاهدتك تؤدي امامي دور رجل راح ضحية علاقة عاطفية فاشلة وحب غير ناجح قهر فؤاده بالانتهاء فغرس فيه ألما لم يرحل...

وكنت اصدق فيلمك الذي كان بارع الاخراج بينما كنت خلف الستار الاحمر لركح مسرحيتك تمارس حبا جديدا تجدد نفسك به...

الان فقط علمت انني عندما كنت اهتم لم ادري انك تنكر علي كل ما اقول ليس ابقاء على كبريائك....انما لأنك ترى انه ليس من حقي معرفة ما اعرفه ... وليس من حق قول ما اقوله...

انا التي يفصلني عنك كل شيء مادة وروحا ويصلني بك قلبي فقط...

والآن انا لست عاهرة عاطفية يا سيدي حتى اعشق رجلا عاشق...

سأعتزلك ولن اطلب منك حتى ان نبقى اصدقاء...

هذه المرة سأرحل دون ان تطلب مني انت ذلك...سأعتزلك تماما كما اعتزلت انت ماضيك ...

سأتجاوزك...سأنساك...سأدعي عدم معرفتك...سأنسى أنني احببتك...سأنسى أنني عرفتك...

ظننت انها كانت الفاجعة عندما نظرت في مرآة قلبي فلم أجدك قابعا في قعره كما العادة...

ونظرت في عيناي فلم اجدك تنام بين بياضها وجفنها....

لكنها في الحقيقة لم تكن كذلك بل فاجعتي بك كانت في قلمي ليس في قلبي...

هل سيسامحني قلمي اذا انا اخبرته انه لن يكتبك بعد هذا؟

اذا انا امرته أن يوقف هذا الهدر السائب من الخسارة الفادحة التي يكتسبها مع كل حرف خطّه...

لا يهمني ان فعل او لا...لكنني سأكون من سيسامحك على كل ما فعلت...

انني احببتك كأم وسأبقى كذلك....

ومنذ اليوم لن احبك تماما ولن اكرهك تماما ....

سأبقى كلما ذكرتك ادعو لك وعليك بغضب وحب أم...

علي منذ اليوم ان اتعلم اتقان فن النسيان ...اتقان التخلي والضحك بدل البكاء ...والفرح بدل التألم بك...

فمن اراد تأبين الحب عليه ان يتقن نسيان ذكرى الحب قبل ان ينسى الحب نفسه...

ذلك ان ذكرى الحب اقوى من الحب عينه واكثر بقاء منه...

فالمصيبة في الحب تكمن في انك حين تقتل ذلك الحب.... لا يلزمك فقط نسيانه وردمه تحت تراب الذاكرة....

انما تلزمك جرأة كبيرة لإطفاء تلك النقطة السوداء في أعماقك التي توقد فيك الرغبة لاسترجاع ذلك الحب الذي كابدت عناء طويلا للنجاح في الشفاء منه...

فأولئك الذين احببناهم وفعلنا لأجلهم المستحيل سنبقى طويلا نراقبهم في صمت وندعي نسيانهم واعتزال حبهم وسنتمنى مساعدتهم للشفاء منهم....سندعي الانتهاء بعدهم ... و توقف الحياة برحيلهم...ولكن وإن كان في انتهائهم عذابنا وجرحنا وموت قلوبنا فأن نرحل بكرامتنا افضل من البقاء على قيد الاهمال من قبلهم...

لقد كانت صدمتي الاولى فراقك والثانية تغيرك والثالثة انك احببت مجددا فشكرا على مساعدتك لي للشفاء منك ولن اسمح لك يا سيدي باستغلال عاطفتي كي تستمتع عن بعد بمشاهدتي اتذلل عشقا وأنت تمارس الحب في محراب امرأة اخرى ربما عرفتك لكنها لن تعرف عنك شيئا...

لن اجعل لك كتبا أؤبنك فيها واخرى احييك فيها سعيا لخلودك... ومنع النسيان عنك...

فأن تصبح كاتبا تأبينيا تمتهن دفن خيبتك العاطفية في كتبك وتلفلف جثث احباب غادروك في رواية يعني انك سوف تكره كلماتك تلك تماما كما احبها قراؤك حدّ الدهشة...

ان ترفض ان تتذكرها او تعيد قراءتها تماما كما اعاد قراءتها مذهولون كثيرون...

كيف للعالم ان يحتفي بي بعد اليوم ككاتبة وانا التي كرهت كل حرف خطته يدي عنك يوما؟

هل لي ان احتفي بكلماتي بعد الان؟

هكذا تعودنا وهكذا ارادت لنا الحياة...

مع كل بداية شاهقة من السعادة...نهاية كارثية وانهيار للحب...

لكن لست انا يا سيدي تلك التي تركض خلف ذكرى حبيب حتى تبللها بدمعات قهرها لعلها تبقى بعبراتها تلك تعيد اليها الحياة في كل مرة وتنجح في سقييها حزنا... حتى تثمر ذكرى خالدة...وتورق صورا قديمة....تبقى عالقة ما بين كبريائها وحنينها...

لست من تسقي آلامها لتثمر...او تزرع بذور وجعها لتورق شجرة خريفية مصفرة حزينة... تكتب على ورقها حدادها الابدي وحزنها الدائم...

لست تلك ولن اكونها يوما...

لست انا المرأة التي تنتظر الحب او تطلبه لذا لن يفك لغزي رجل يرى الحب مفتاح المرأة ...

تأكد دوما ان ذاك الذي بلغ بك السماء هو نفسه سينزل بك ارضا يوما ما...وان الذي أذابك عشقا سيدفع بك يوما ما الى انهيار صارخ يقذف بك خارج مجرة الحب ليعلن انتهاء فرحك...

والمطلوب منك في تلك اللحظة ألا تستغرب انه قد فعل بك ذلك فأنت من سلمته نفسك وقلبك وأمرك في النهاية لذا علينا دوما ان نتوقع الاقل ليكون الالم اخف لا غير...

تماما كما شعرت انت بخسارتك لضحى...

جعلتني اشعر انا اليوم...

ففي الحقيقة لن احزن على تغيرك بقدر حزن على انك غيرتني كما فعلت بنفسك تماما...

ولن احزن على انتهاء قصتي وإياك بقدر حزن على فقد الحماس بداخلي تجاه هذه القصة...

المشكلة كانت انني منذ عودتنا الى اليوم كنت اغرس بداخلي شعور شرعية امتلاكك... ولم ادري بذلك حتى وجدت نفسي فجأة لا املكك في الوقت الذي اصبحت فيه على قناعة ان امتلاكي لك مشروع....بينما كان محظورا في الحقيقة....

كان اكبر خطأ ارتكبته انني جعلتك حب البكالوريا على قناعة مني ان حب البكالوريا شيء استثنائي لا يموت ولا ينسى وفعلا هو اليوم لن يموت ولن ينسى ولن اقدر على فعل ذلك حتى لو حاولت...

لقد كان ذلك باختياري...

اذكر احدى المرات التي حدثتك فيها عن ماضيك بمبادرة مني وسألتك عن البكالوريا خاصتك ازعجك الامر وأردت تغيير الموضوع ففهمت ذلك وقلت لك:

اعتذر عن هذا لم اكن ادري ان الحديث عن ماضيك يزعجك وان لك مشكلة مع الماضي.

فقلت:لماذا سألتني عن البكالوريا بالذات لماذا لم تسأليني عن ايام الجامعة مثلا؟

فأجبتك:بصراحة لانو بيقولو انو حب البكالوريا ما بيتنسى ابدا؟

فقلت لي باندفاع طفل يسأل امه عن شيء لا يدركه ويريد ان يتعلمه منها:احكيلي عن الحب لي ما بيتنسى.

فأجبتك بارتباك:اي أنا لسا ما عشتو لحتى احكيلك عنو.

ربما خرقت قوانين فيزياء الحب عندما جعلت هذا الحب يكبر اكثر من الحجم اللازم له...

عندما جعلت منه حب البكالوريا وغرام فترة الثانوية بأكملها... نفخت في حجمه فانفجر في وجهي وسيبقى التشوه الذي ألحقه بي في داخلي الى الابد...

والآن اضحى علي ان اقتنع ان الله يريد دوما ان يذكرنا كلما اخذتنا الحياة واغرتنا مباهجها انه لا شيء دائم ومهما طال فإنه سينتهي ولو بعد حين... لكن ما يحزنني الان هو ان حبك لم يكن فقط حب البكالوريا لكنه كان الحب الذي ارتبط بأحداث تاريخية في حياتي وحياتك وسوريا...

كيف احببت بيت عبيدة الى تلك الدرجة؟

كيف احببت القرداحة واهلك وجيرانك وضيعتك ومدينتك الى ذلك الحد؟

كيف عرفتهم وعايشتهم؟كيف ارتكبت كل ذلك الجنون؟

كيف بكيت ليلة استشهاد ابن خالتك...

لانك بكيت؟وقهرت لأنك قهرت؟ وتألمت لأنك تألمت؟كيف امضيت كل ذلك الوقت ادعو لك؟

كيف صليت كل تلك الصلوات لك؟

سيبقى اكثر ما يؤلمني في هذه القصة لا القصة نفسها بل التواريخ التي ارتبطت بها هذه القصة...

العدوان على سوريا ... تهافت الارهاب عليها...عيد ميلادي الذي توقفت فيه الحرب في احدى سنوات هذه الحرب... يوم استشهاد ابن خالتك في داريا... تحرير داريا تحرير منبج... تحرير حمص تحرير حلب تحرير دير الزور تحرير الرقه ....غيابي عنك وعودتي لك ...حزني على فراقك... تعرفي عليك في يوم ميلاد المسيح ...الاغاني التي تذكرني بك...

تفاصيل وتفاصيل واحداث واحداث أضحى علي ان لا اربطها بك مجددا... وأن افصلها عنك وعن قصتك....مرحلة الثانوية... نجاحي في البكالوريا ....هروبي اليك من الماضي ....خرقك لهدنتي مع الحب... احلامي بك ورؤيتي لك في مناماتي...

كل دعواتي وصلواتي وصورك والتسجيلات الصوتية التي سجلتها لك....نصوصي التي كتبتها لك ...فرحي بسماع صوتك والحديث اليك... اضحى علي ان انسى كل هذا واجعله مجتمعا في صفحة مطوية...

ان انسى انني حزنت لرحيلك وفرحت بعودتك وان انسى انك اول من ابكاني رحيله ...وأنني طلبت عودتك... وأنني كتبت لأجلك رواية..وأنني شعرت يوما ما انني افهمك وأشبهك في اشياء كثيرة الى درجة التطابق...

والاهم انه اضحى علي ان انسى ان عيد ميلادي وعيد ميلادك يلتقيان سويا في اليوم نفسه من كل سنة...

وأن اسمي واسمك يلتقيان سويا في عدد حروفهما...

وقلبي وقلبك في عشق سوريا...

وان دمعي ودمعك التقيا سويا لحظة استشهاد ابن خالتك...

اضحى علي ان انسى دموعي التي ذرفتها لأجلك وبسببك على وسادتي لسنه ونصف كاملة...

اضحى علي ان انسى وفاة جدتي التي كانت اثر معرفتي بك تماما...

اضحى علي ببساطة ان اعلن نهايتك ونهاية مشاعري ونهاية ذاكرتي وذكراك ورغبتي فيك وحنيني اليك وإطفاء شعلة اسمك الحارقة في اعماقي...ان ابحث عنك في عيني فلا اجدك وابحث عنك في قاع اعماقي ولا اجدك... وان اطرق بوابة قلبي فلا تستقبلني ذكراك للارتماء في احضانها... وان اتيقن تماما دون شك انك قد انتهيت...

ربما اتى الوقت لإعادتك لسجلّ الناس العاديين عندي وإسقاطك من مرتبة الاستثناء...

ففي النهاية كل واحد منا مر بفترة في حياته احبها اكثر من بقية الفترات ولكنه لم يخبر عنها احدا....ولن يستمتع بذكرها او يبتسم لتذكرها احد غيره...

ولم تفرح روح كروحه لحظة استرجاعها تلك هي الفترة الوحيدة التي لم تنطبق عليها قواعد الزمن فلن نسميها ماضيا....

لأنها ستبقى دائما حاضرنا الذي يعيش في داخلنا...

حتى لو ظهر غروبها وطواها الزمن يكفينا شرفا اننا عشناها والحمد لله على كل حال اصابنا به...

قالت الكاتبة احلام مستغانمي في احدى كتاباتها ينتهي الحب حقا عندما نبدأ باتخاذ القرارات...

ففي النهاية مشاعرنا ليست إلا قناعات اعتنقناها لفترة من الزمن ....والان انت لم تعد قناعتي التي اعتنقتها لفترة من الزمن...

اصبحت خيبتي التي رضيت بها وعشت بها كل هذا الوقت....

ولكن تماما كالهبوط الافتراضي للطائرة التي يحدث تفاديا لوقوع الكارثة...يصبح علينا احيانا الانسحاب اضطراريا لإنقاذ ما تبقى منا قبل حصول الكارثة وخسران كل ما لدينا... ففي بورصة الحب بإمكانك ان تفقد اسهمك في اية لحظة...

تماما كما ذلك الانهيار الاقتصادي... يختفي اسمك من قائمة العاشقين فجأة فتفتح عينيك امام تلك الخسارة الفادحة التي تتلقاها كما وكأنك تعرضت لإفلاس فجئي... خسرت على اثره كل ما لديك فلا يتبقى بحوزتك بعد ذلك الا قليلا من الذكرى التي تسترجع من خلالها فقط مجدك العاطفي الذي كان لك يوما ما...

وربما قد اضحى علي اعتزالك تماما كما اعتزلت انت كل شيء... ربما يصبح علينا احيانا ان نهتم فقط بأنفسنا ونترك كل شيء...

ففي هذه الحياة سيأتي عليك يوم تصبح فيه على يقين انك لا يجب ان تجعل من احد مؤثرا في حياتك لدرجة قدرته على تغيير مزاجك...

ستصل الى قناعة يوما ما بأنك لا يجب ان تجعل احدا على قدر من الاهمية التي تخول له التأثير في حياتك....مصيرك...مزاجك ...سعادتك...فهو لن يفعل شيئا سوى تدميرك تدريجيا...

لذا فانك عندما تقرر اعتزال الحب حفاظا على ما تبقى منك لمواصلة حياتك بسلام...فانك بذلك تكون قد تنازلت عن ممارسة الموت قهرا كل يوم...

لذلك جدير ان نقول لهم اولئك الذين سلبوا قلوبنا وعدلوا عن ارجاعها الينا...

عذرا يا من احببناهم ولن يهتموا فإننا لن نطلب منكم شيئا بعد الان فقد ايقننا ان لانفسنا علينا حق...حبكم صفحة مطوية لن نعيد قراءتها ولا تستغربوا منا لما اصبحنا عليه فكل ما حدث هو اننا ايقننا انه علينا ان نكون منطقيين ونعتزل احلامنا الواهية...

اجل يا سيدي فأنت لست اكثر من حلم واهي اتى الوقت لاعتزاله...

لا تقلق لن اقتلك بداخلي ابدا فكما لم اجرؤ على قول من انت لأحد... فانني لن اجرى على قتلك لتخلف في اعماقي رائحة الموت التي امقتها انت فقط ستبقى تلك الفرصة الضائعة والصدفة النائية والسعادة الراحلة والهوى المفقود والحلم البعيد الذي لن اصل اليه قط...

مع ذلك لم يؤلمني ابدا انك لست قدري وليس لي منك شيء بقدرما سيؤلمني دوما انك ستبقى ذلك الوحيد الاستثنائي والوحيد الاسطوري الذي لا يقبل قلبي ان يخبئ غيره ان يكتب سواه ولن ادري لماذا قط؟

فان تتحول الى كاتب لا عاشق عندما تحب!

ذلك يعني انك قد عرفت شخصا استهواك حد الجنون واستفزك حد الكتابة...

اوقد شعلة ما بداخلك دفعت بك الى ملازمة القلم والورق لاكتشاف سره بين الكلمات فقد لا يكون حبيبا هو فقط اسطورة واستثناء....

تحول ومنعطف عاطفي في طريق قلوبنا...

هو اكتشاف مر بك ليخلق فيك مرحلة جديدة ليصنع منك شخصا اخر لا تعرفه...

حتى لو لم تتمكن من فك شيفرة ذلك "الأسطورة"فإنه سيبقى فقط ذلك المختلف الذي لا يخضع للنسيان ولا يقبل الاستبدال بأحد فلا اخر في الكون يشبهه او يصل الى مكانته...

كنت انت الوحيد الذي مذ عرفته لم اترك القلم قط وكأنك دخلت حياتي لتجعل مني سيدة الورق لا الحب...لتغرقني حبرا لا عشقا...لتصنع منحياتي وهما لا حقيقة....

ان من قال ان عظمة الحب تكمن في ان يكون الوحيد الذي زار قلوبنا طيلة حياتنا اخطأ... فليست عظمته في ان يكون لا قبله ولا بعده ولا بعدد مرات الحب في حياتنا ...

ولكن عظمته تكمن في ان يجعلنا اناسا لم نكنهم من قبل ....وكنت وحدك من جعلني انثى لم اكنها من قبل ... لذا فإنني حين اخاف خسارتك أنا في الحقيقة اخاف ألا أكون تلك الفتاة التي صنعتها وان اتغير...

فأولئك الذين جعلوا منا اشخاص افضل نخاف خسارتهم لا لأجل فقدهم فقط بل خوفا منا ان نخسر انفسنا وما اصبحنا عليه بعد معرفتهم فنعود كما كنا قبلهم...

لذلك فنحن على استعداد دائم لتقديم التنازلات للإبقاء على من نحب لكننا سنبقى نخفي ذلك تحت رداء القوة كي لا ينتابنا العري ضعفا امام الجميع...

عندما يرحل من نحب يترك لنا مهمة صناعة القوة في اعماقنا من جديد بعد ما كانت قوتنا به...

يترك لنا مهمة الترميم قلوبنا بعدما احدثه فينا رحيله من خراب...

تماما كالحرب التي بانتهائها تترك لنا مهمة اعادة اعمار الوطن من بعدها...

لنبدأ من جديد لنبدأ من جديد املين ابتداء صفحة جديدة نكتب عليها امانا العاطفي الذي فقدناه وبقينا نبحث عنه بعد ذلك الغياب...

لذلك لا فرق بين الحب والحرب سوى خيط رفيع من السلام الذي يرسو في اعماق القلوب...

لقد رحلت اذا او سترحل لكن قبل ذلك ربما يجب ان نقول ما لابد ان يقال...

لقد كانت الكارثة انني عدت بعد الفاجعة بخيبة وقبل الحب بخطوة...

خارج سلم المنطق رتلت ترنيمة عشق جنوني... لم يقدر على رؤية الضوء فولد في العتمة...

كانت هي اكثر حظا بك لأنها لم تحيا معك الفاجعة مثل ما فعلت انا ....

لم ترى الحزن في عينيك كما رأيته انا.... ولم تستشعر انين صوتك كما شعرت به انا ....

ولم تشاهدك وأنت تتغير امامها متحولا الى رجل ينقم على الحب لأنه عاش فاجعة فقد من أحب... كما رأيت انا...

كانت اكثر حظا بك لأنها اتت بعد ان استكملت انت موسم الفقد وطويت فصل الحزن وجمعت آلامك لتدفنها تحت الجفن... دمعة تلوى اخرى... ولوعة خلف أخرى ...

دموع اصبحت تأبى ان تذرفها حسرة على من زرعت في قلبك الحسرة...

اتت تلك الفتاة لتصرف عنك قهرا صدع ضلوعك اشهرا فأعلنت نفسك رجلا قويا لا يعرف الضعف لقلبه طريقا من جديد...

اما عني فعدت بينما كنت انت تتجهز لشروق جديد استعدادا لتطوي ليلا طويلا طال سهادك فيه دمعا وأرقا ووجعا....

اتيت بعد غياب طويل لكنني كنت على علم بأنك طوال فترة غيابي كنت تتبلل ألما جراء غيمة هجر طالت سماء الحب في قلبك...

لقد تغيرت وغيرتني...

عدت اليك وأنت تظن اني لست على علم بشيء مما أصابك...

بينما كنت اسمع انين صوتك فتتكلم و كأنك تقول لا شيء يعجبني لا شيء يريحني كل شيء يتعبني....

كنت ارى عيناك تخبرني بان كل شيء تغير وانك اصبحت شخص لا اعرفه ورجل ليس نفسه ذاك الرجل الذي احببت!

لقد خلقت بك الفاجعة ملامح اخرى لا تشبهك مطلقا ولا يمكنني ان اصدقها لانها ليست انت في شيء....

اصبحت اراك طفلا فقد لعبة كانت اللعبة المفضلة لديه فأضحى لا يرى قيمة في كل اللعب بعدها...

لقد كنت قلبا ببراءة طفل يرتع فرحا في حقول العشق...

فأضحى ذلك القلب بشراسة حرب مدمرة تزرع الخوف في من يلقي على مخلفاتها نظرة فضولية....

اصبحت ترى البراءة والسذاجة والطفولة في الحب خطأ لا يجب ارتكابه بينما كان ذلك شيئا وحيدا الذي يصنع فيك الاستثناء وتخليت عنه بسببها ...

كان الخطأ خطأك لأنك لم تعتزل الالم منذ الوهلة الاولى الذي مارسته فيها معها بل جعلت امرك بيدها حتى اغرقتك ألما ...

خرجت من بين يديها رجلا ثملا بجروحه بينما هي قد صنعت البداية من بعدك....

كنت انت مشغولا بصناعة قبر للذكرى تدفن فيه حكايتك معها دون كتابة اسمها عليه كي لا يبقى لها اثر....

انت من اذيت نفسك قبل ان تؤذيك هي... لانك كنت تسلمها نفسك كي تزيدك طعنات اكثر ضمن منك انك بذلك تقدم عطاء سيرقيك اكثر في قلبها وانك تضحي للمحافظة على مواصله حب تملكك لكنك في الواقع كنت تدمر نفسك في العمق!

كانت حبيبتك تلك جوزائية لا يمكنك ارضاء ميولاتها ولا تلبية رغباتها ولا تحقيق سعادتها ...ولم تدرك ذلك...

لأنها فتاة هي نفسها لا تدرك ما تريد ولا تعرف ما يرضيها!

كانت امي جوزائية وعاش ابي طيلة حياته يفعل كل شيء لإرضائها ولم يحقق ذلك مهما حاول وكانت تلك مشكلته طيلة حياته...

نحن عادة ما ندرك ان في مواصلتنا الحب مع شخص ما عذابنا وليس العكس ...

ولكننا نصر على ايذاء انفسنا ظنا أننا سنصل الى استقرار علاقاتنا يوما ما ...

ولكننا ندرك في ما بعد أننا بذلك كنا ندمر انفسنا ونعطي ذلك الشخص الفرصة لتدميرنا اكثر فأكثر...

لقد دمرتك وكنت انت من اعطاها الفرصة لتفعل ذلك....

في السابق كنت اعتبر نفسي محظوظة بك لأنني احببتك...

والآن اعتبر نفسي الاكثر تعاسة بك لأنك تغيرت وخسرتك...

اولئك الذين احببناهم لن نخسرهم لحظة فارقناهم بل لحظة تغيروا معنا وأضحوا غرباء عنا وغادروا القلب قفزا من شرفة الذاكرة الى الابد...

ما اكبر فاجعتهم وما اكبر فاجعتنا بهم لقد سقطوا في هوة ثقتنا متدحرجين الى اسفل خيباتنا...

-13-

"كلما حاولنا النسيان بالغياب ازددنا تشبثا بمن نح...شيء واحد حاول ان لا ترتكبه في حياتك قبل ان تحاول النسيان...اشبع بمن كنت تحب حتى لا تحمله معك في عزلتك جثة تنغص عليك حياتك"

واسيني الاعرج

شهر اكتوبر/تشرين الاول

لحظة قررت الرحيل عنك ثم تراجعت وبقيت... اتيت لسؤالي لما لم تذهبي بعد؟ كنت تقصد لم تريدين الذهاب؟

أنا يا سيدي عندما عدت اليك كنت رجلا ثملا بماضيه يلملم ما تبقى من كسوره وينزع ضمادات جروحه الاخيرة يتأهل لحب جديد ويتجهز لخوض الحب مجددا لعله يجيد نسيان الماضي... ويجد سعادته المنشودة... اتيت دون دراية مني بتغيرك وبكل ما حصل معك كي اعيدك الى صفحات ماضية كنت قد غرقت وجعا للنجاح في طيها ... فتحت جروحك بغير قصد...

كانت عودتي خطأ لربما اضحى علي الان اصلاحه بالرحيل!

انت يا سيدي رجل بكى وبكى كثيرا...

رجل كسر وتغير بداخله حتى اضحى عاجزا ان يعرف نفسه...

انت رجل ثمل وجعا ومتعب من الدنيا حتى لم يجد حلا عدا عن اللجوء العاطفي الى امرأة تأويه من الفراغ الذي ألحقته به خيبة حب ظن انه سيجد فيه جنته...

انت طفل يبحث عن ذاته... عما تبقى منه بعد الحطام... بعد العاصفة...

يريد دفئا بحضن صادق...هربا من الماضي... فاقدا كل شيء... وجد بعضا من بقايا زجاجه المتكسر منثورا هنا وهناك يحاول جمعه...

تجرح كرامته فينحني لوجع جديد ثم يبحث عن حطام جديد لينال نصيبه من الدماء...

رجل بكى وسيبكي طويلا لمن سبى روحه وعلق نعرات عشقه على قارعة الطرقات...

لذا فلتحيا الحب لعلك تجيد اتقان السعادة!

يا رجلا من كبرياء!

مشكلتك انه كان بداخلك الكثير كي يقال وانت تواصل اغتيال كلماتك تحت الصمت....تنتظر الشخص المناسب للإدلاء...

وستكتشف يوما ما انك قد جلست على كرسي الاعتراف في الوقت الخطأ للشخص الخطأ ومع ذلك فلن تعترف!

فأن يعترف رجل بأنه كسر او خذل او تألم شيء خارج عن المنطق....في نظر شرقي لا يجيد سوى مراقصة انثاه على ايقاع كبريائه... ومخاصرتها على وقع مكابرته...

ستبقى شرقيا بامتياز!

وستبقى دوما تظن انك كتمانك نقطه قوتك بينما هو في الحقيقة احد اكبر نقاط ضعفك!

الكتمان هو وسيلة لحمايتنا من شفقة الاخرين ضمانا منا لأنفتنا وكرامتنا امامهم .....لكنه كالسلاح عندما يستعمل خطأ يرتد مضرا لك فيصبح احد وسائل تعذيب الذي سيقتلك يوما ما اذا ابقيت عليه طويلا...

لطالما كنت رجلا متطرفا في مشاعرك ودوما سيبقى هذا خطاك انت الذي لا يعرف الوسطية ابدا!

كم يؤسفني التغير الذي حصل بداخلي والذي كنت انت السبب فيه... فقد وجدت حبي فجأة يتحول لحب امرأة لرجل بعد ان كان حب والدة لطفلها.....

وجدت حبي يتحول فجأة عطفا وأنانية بدل الحنان ....

اصبحت انانية بك لان عذابي بفراقك قد منحني شعور شرعية امتلاكك ظنا مني ان العذاب في سبيل من نحب يمنحنا احقية التقرب اليه وامتلاكه وجعله لنا وكنت مخطئة...

واليوم لا يمكنني ان اصدق اننا طيلة هذه الفترة كنا فتاتان نعشق الرجل نفسه ونتشاركه ونتقاسمه سويا كنا نفكر فيه سويا ونحن في الجامعه نحضر محاضراتنا وتكتب كل واحده منها في لحظه حلم على دفترها الدراسي حرفك حرفm وتربطه بأول حرف من اسمها كانت هي في جامعه تشرين في اللاذقيه وانا في جامعه اخرى ليست قريبه منك...

لم اقدر على استيعاب هذا ولا تقبله...

وكيف لي ان اصدق انها قد امتلكتك حقا وانت رجل قد صحا من سكرة الحب مؤخرا ليتوقف قلبه عن العاطفة الى الابد...

كيف لي ان اصدق انها حقا قدمت لك وانت لم تعد ذلك الذي كنت...وذلك الذي اعرفه....فهل تراها حقا عرفتك؟

ما فائدة ان تحبك وانت اليوم رجل قد تقدم في العمر عمرا ولم يعد ذاك الطفل الذي يجن غرقا في الوجد...

كيف لها ان تدعي انها إمرأة قد وضعت قدميها حقا على غيمة ذكوريتك الصارخة وحلقت حقا في سماء رجولتك الشامخة وتوحدت حقا بفحولتك الغامضة التي لا تقاومها الانوثة وان تدعي انها قد عرفتك وانت لم تعد انت حقا...

وانك قد منحتكها الحب وانت لم تعد تتقن الحب حقا بعد ذلك السقوط الشاهق لك من على عتبة جنون العشق...

كيف لها امتلاك وهي لم تعرفك يوما...وانى لها التوحد بك وهي لم تمتلكك حتى...كيف لها كسبك ومعرفتها اياك هي خسارتك في حد ذاتها...

فأنت لست ذلك الذي كان منذ زمن ولم تعد كما كنت...خطأها كان انها ظنت انه حب وهو خسارة فادحة بك.

كم صدمت بك وكم كرهت الحب وكرهتك!

كانت وسادتي تتبلل بك كل ليله طوال سنة ونصف بينما انت تمارس الحب في عالم انثى اخر... ولو علمت ذلك لما عدت...

كنت اكتبك وكنت تمحوني...

كنت احافظ على ذكراك.. وتحافظ على نسياني...

كنت احييك وكنت تميتني...

فهنيئا لك بها..

لعلها تتقن قراءتك اكثر مما فعلت انا...

ولعلها تكتبك اجمل مما كتبتك أنا...

لا ادري بماذا يمكنني ان افسر محاولات اقناعك لي في ذلك الوقت بتعبك ومللك ويأسك بينما كنت في الحقيقة تستعد قلبك وتسترجع عواطفك وتعتنق الحب من جديد...

كنت اصدقك وقتها املة ان اكون من تخرجك من وضعك ذاك...

لأصحو فجأة على ايجادك تتربع على كرسي الحب من جديد...

ماذا لي أن اسمي ما كنت تفعله بي وقتها؟

اي رجل انت؟

لا ادري كيف لي ان اتقبل كل تغيرك هذا دون ان اجرؤ على تغيير موقعك في قلبي او ان اكرهك او اعلن عليك نسيان...

لماذا تحتكرني الى هذا الحد...

لماذا لا تطلق قلبي لغيرك اذا كنت لست لي...

علمني التخلي ارجوك...

تماما كما تمكنت من التخلي عن ماضيك بسهولة والوقوف من جديد فإلى متى سيبقى قلبي ينبض على ايقاع وقتك ويرقص على نغمات ساعتك وينتظر اشارة اهتمام منك....

كم اصبح قلبي بحاجة الى التحرر منك يا سيدي

كم اصبح بحاجة للتحرر منك عندما تصبح انت كل شيء

كم يخنقني امتلائي بك

وكم يقتلني غرقي بك

وليتك تعلم كم اخشى قربك وكم يخيفني عمقك...

لكن الى متى ستبقى ككل مواطن عربي تعشق دور الضحية....

وتدمن ردات فعلك الدفاعية لفتاة لا تجرؤ اصلا على الهجوم...

كم تعبت من حربك المعلنة على قلبي دون اسباب شرعية...

كم اصبحت بحاجة للانسحاب ورفع الراية البيضاء...

تذكر دوما انني احببتك اكثر من اي امرأة ادعت ذلك!

ولانك لست قدري ولانني لا يمكنني تجفيف حبري منك...

سأحافظ على اقلامي واخفي ورقي واحبك سرا...

واكتبك حتى الموت...

وتبقى بعدي....

وتخلد على اثري ...

وتكون نهايتي ...وانت لا تنتهي...

حينها سيقف حبري وتتوقف اقلامي ويصفر ورقي قدما....

وستبقى ويبقى ذكرك وذكراك واسمك وطيفك بين الورق....

لعلني اكون بذلك قد فعلت شيئا قليلا جعلك تخلد وامنع عنك الموت لانك اكبر منه...

فقط كن صديقي!

-14 -

"الحب ثمرة يجب ان تؤكل في وقتها...تؤكل كاملة مرة واحدة في وقت محدد أو تفسد"

محمد حسن علوان

شهر نوفمبر/تشرين الثاني

لا تزال على موعد مع الحلم ترتب لقاء تظليليا لقرّائها مع الحب في كتاب...

تتجمل اليه على ورقها وتسلمها نفسه مختبئة بين الحروف...

ترتعش وقوفا على حافة الحبر تتجنب انهاء الحكاية...

في مواصلة منها لشعور جميل تمارسه رقصا على الكلمات وترفض انهاء معزوفته...

ربما لا يمكنك ان تفهم معنى ان تحبك كاتبة او روائية لا يمكنك ان تفهم انني إمرأة تتقن الحياة في كتاب بقدر غبائها خارجه....

امرأة تتقن ترتيب الكلمات المنمقة في كتاب بقدر ما تجيد التلعثم خارجه...

انا امرأة تجيد الحياة في حلم ولا تلقنها في الواقع...ولكن...لن انزل الى الواقع...

و لن ابحث عنك يا سيدي... سأجعلك تبحث عن نفسك بين حروفي...سأجعل من ورقي مرآه لروحك...

سأجعل من كلماتي خلودا لاسمك حتى امنع عنك الموت والنسيان لأنك اكبر منهما...

سأثبت لك يوما ان احبك ليس وهما

سأحكي عنك واحكي وأحكي...

حتى انتهي انا ولا تنتهي الحكاية...

ستبقى بعدي طويلا لن تموت...

سأجعل حكايتي اطول من شهر زاد وأكثر من الف ليله وليله...

سأصنع لك خلودا يمنع عنك الموت...

ولست اكتب لأنني اريد ايقاعك في حبي بل اريد ان اكتبك لأمنحك خلودا ما منحه اياك احد قبلي...

اريد ان اركب لك انك ستبقى دائما وأبدا في اعماقي لا اريد منك اهتماما لان نهاية ذلك ستكون تخليا وغيابا...

لا اريدك واقعا اريدك حلما جميلا اهرب اليه من واقعي لن ابلغه لكنني لن اتخلى عنه...

ما اجمل ان اخبأك سرا جميلا في قلبي لا احد يدري به....

فأحكيك دون ان احكي عنك وأكتبك ولا اكتب عنك وأذكرك ولا اذكر عنك شيئا واكشف سرك دون ان افتضح بك....

سأجعلهم يتساءلون عنك ولا يعرفون من انت...

سأجعلهم يحبونك ويجهلونك كما فعلت بي تماما...

لن اخبر عنك احدا سأجعلك سرا يختبأ تحت الصمت...

لن اخبر عنك احدا فأنت اكبر من ان تكون واقعا وابعد من ان تكون وهما...

ستبقى اسما محفورا في قلبي ولا احد يعلم عنه شيئا...

ربما تكون المفارقة في علاقتنا اننا اذا اردنا ان نبقى على وصال يجب ان نظل على افتراق دائم...

لكن كيف لي ان اتحرر منك والصدف كلها تجمعني بك؟

لقد خسرتك كثيرا ولا اريد ان تتجدد خسارتي بك...

ففي النهاية..... ان يصبح من نحب ألد اعدائنا تلك هي مأساة الحب...

وان كان حبك لها قد اخترته انت.... فحبي اياك قد اوقعتني في غياهيبه محض صدفة وقعنا تحت صاعقتها سويا في نفس التوقيت ونفس المكان يوما ما...

لكنهما كانا الزمان والمكان الخطأ ولم يكن ذلك خطئي ان كان قدري قد اراد ذلك...

سأبقى تماما كعابد ناسك يبتهل وسأظل امارس صلاتي امام عينيك.....

سأظل اتطهر عشقا ...تقربا اليك...

سيظل عشقك ديني وستظل من بعد خالقي معبودي الذي لا ارنو الى سواه ولا اسكن الى غيره....

عادة ما يمنحنا عذابنا في سبيل من نحب الشعور بشرعية امتلاكه... فنصبح على اقتناع تام بأننا الاجدر بذلك من البقية الذين حصلوا عليه بسهولة...

انها شراسة الحب في ذروته تلك التي تجعلنا انانيين بذلك الذي احببنا... حيث نشعر بأننا الأحق به لا لشيء عدا عن عذابنا في سبيله...

ولكنه ليس اكثر منه لأنفسنا تخفيفا لألمنا الذي غرقنا فيه اثناء وقوف ذلك الذي قاسينا في حبه ما قاسينا على مربع اللامبالاة!

رغم كل شيء لن الوم امرأة في حبك ابدا فلا واحدة يمكنها مقاومتك اثر معرفتك....

لكن السر يكمن في انه لا واحده يمكنها مواصلة الولوج في تخاليجك على اثر سحبك اياها في اعماقك...

لا واحدة تجيد الغرق بك ...

كلهن يجدن فقط قذف انفسهن خارج شطآنك خوفا من مقاومتك

اما انا فأنثى قد رمت بكل اسلحتها وخططها امام عينيك كي لا اجيد سوى الاستسلام...واغرق بك فقط بلا مقاومة...

ولأنه لا يمكنني ان اكون كاتبة من بعدك... علي ان ابقي عليك ابقى على ادبي كي لا اخترق قلمي وورقي...

كي لا انتهي...

ربما يكون سر عدم جرأتي على التخلي هو انني اشعر بقيمتي منك... لأنك الوحيد من يخلق بي هذا السيل من الحب يجعل مني روائيه وكاتبة...

فأولئك الذين احببناهم نبقى مشدودين اليهم دوما ومندهشين بهم دائما....لأنهم الوحيدون الذين خلقوا فينا شيئا لم يخلقه احد...ومنحونا شيئا لم يمنحنا اياه أحد... وجعلوا منا شيئا لم يجعلنا اياه احد غيرهم في حياتنا لأنهم من جعلونا نحب انفسنا وحياتنا...

فلك وحدك يركع قلبي ولك وحدك تفرش كلماتي سجادها لتمارس في محرابك صلاتها حبا صفحة بعد صفحة...

كلمة بعد كلمة وورقة بعد ورقة...

في النهاية كلانا يدرك الحقيقة وكلانا يتقن اللعب باحتراف...

فليكن اذا ولنواصل اللعبة كما أردت انت وأردت انا...

-15-

"العطاء من دون حب لا قيمة له...الاخذ من دون امتنان لا طعم له"

_سعود السّنعوســي _

يوم 16 نوفمبر/تشرين الثاني

في يوم كهذا من شهر تشرين الماضي وتحديدا يوم 11/16 من السنة الماضية.....تعلمت التخلي...

في هذا اليوم طويت الصفحة وأغلقت الكتاب لتعلن البداية ...

بداية رجل جديد لم يكن انت يوما ما لتضع نقطه النهاية لذكرى ايام كانت هي الاجمل في حياتك ولم تعد كذلك اليوم...

لأنها اضحت الذكرى الأسوء بالنسبة اليك..

في يوم كهذا قررت التوقف عن تأبينها وبكائها وفتح قلبك للسعادة من جديد...

اعلنت نفسك شخصا جديدا اخر في الحياة... ظننت انه سيكون افضل من ذلك الذي كنته يوما ما لكنه لم يفعل...

لن يشبهك ولن يكون يوما حقيقتك...

لقد كانت تجربتك الثانية في الحب يا منتجب!

وعندما يأخذ الانسان تجربه ثانيه بحاجز الفاجعة الذي غير امامه هويته العاطفية...

عند خوض احدهم لتجربته الثانية سيجد نفسه اكثر جرأة.....

سيجد نفسه يفعل المستحيل كي يضمن انعدام تكرار ما حصل معه في خيبته الاولى....

سيجد نفسه ذلك الذي كبر سنوات لا عمرا بل حبا...لا سنّا بل قلبا...

هذا ما حصل لك يا منتجب....

كنت طفلا فأصبحت رجلا ....اصبحت شخصا اخر لا اعرفه ولا اشبهه....

وجدتك فجاه تعلمت ان تتخلى.... ان تترك ان ترحل ان تغيب.... ان تصنع النهايات ان تتجاهل وتتناسى وتقسى ...

من علمك كل هذا؟متى صرت هكذا؟انت طفل وصرت رجلا بقلب في عمر الخمسين...

لقد قلت دوما انني احببتك كإبن لذا لا يمكن لحبي هذا ان يستمر بعد ان اصبحت رجلا ....

انا تماما كتلك الام التي انتهى دورها في تربية طفلها واضحى عليها تسليمه لتلك التي احب...لزوجته...

والتي لن يكون دورها في حياته سهل...فأي امراه عليها ان تكون لتنجح في استخراجك من تحت انقاض دمار حب شامل خرجت من تحت رماده بعد ان دفنت تحته براءتك وطفولتك وسذاجتك في الحب... التي لن تعود اليك يوما وتركتها خلفك دون ان تلتفت اليها لانك اصبحت تراها خطأ اقترفته في حق نفسك بينما تلك في الحقيقة لم تكن الا حقيقتك وماهيتك وطبيعتك الخالية من التكلف بسبب من لا يستحق والاكثر تعاسة انك فعلت ذلك عن قناعة لا عن اضطرار...

وذلك هو السر الذي يؤلمني حقا اكثر من كل شيء...

تماما كما اصبحت انا الان على قناعة بإعتزالك لأنك لست من عرفت ولا اريد ان ابقى على حب من لم يعد يشبهني في شيء بقدر تطابقي واياه سابقا...

انت تتعب من لاجل شخص ما وتفعل من اجله المستحيل الى حد جعلك تشعر بشرعيه امتلاكه لما دفعته من ثمن لاجله....

ثم تكتشف ان شخصا اخر ياتي اليه ويحصل عليه بكل سهولة يعني ان تموت على يد ذلك الذي احببته ....

لقد شعرت انت بالشعور نفسه عندما فعلت بك ذلك ضحى...

وها انت اليوم تجعلني كما انت وتفعل بي كما فعلت هي بك... جعلتني اشعر مثلما شعرت انت عند خسرانك لضحى وفقدك لقلبك القديم ذاك...

بعد ان حلمت انا طويلا ان اشفيك من ذلك الشخص الذي تحولت اليه ها انت تفشلني في ذلك وتنجح في جعل نسخة مطابقة لك...

مطابقة لشخصيتك الجديدة التي لا تشبهك...

جعلتني نسخة مزورة شبيهة بالتزوير الذي طرأ عليك...

المشكلة كانت انني عندما عدت اليك عدت الى نسخة مزورة من منتجب لم تكن الاصلية ابدا...

والاكثر الما كان انني فارقتك لحظة كان يجب ان اكون معك...

وعدت اليك لحظة يجب ان لا اعود...

فقد وصلت متأخرة جدا عن الوقت المناسب...

وصلت بعد ان بدأت انت من جديد وانبثق حب حديث الولادة في قلبك...

بعد ان كنت فارقتك قبيل ايام من فراقك لضحى...

لو كنت اعلم ان ذلك سيحصل بينكما وانك ستفارقها... لما فعلت وتركتك...

ولكن هل الزمن يبعثر قصتنا ويتلاعب بها ويستهزئ بنا بخلقه لأحداث في الوقت غير المناسب حتى يؤكد لكلينا اننا غير مناسبين لبعضنا؟

لماذا يحدث هذا؟

كنت الوحيدة القادرة على انتشارك مما تعرضت اليه هو الوحيد القادر على ان لا اترك لك مجالا لتفعل بنفسك ما فعلت وتتغير كما تغيرت....

ولكن الزمن لم يشاء ذلك وابى إلا ان تتغير وتتشوه روحك حتى تصبح غريبة عني لإكرهك كما كرهتك الان...

عندما عرفت بوجود تلك دخلت الى حياتك قبل شهرين من عودتي اليك لم اتقبل ابدا ان تكون حقيقة...

لانني لم اقبل ان تاخذك مني بعد كل تعبي وشقائي وكلماتي ودموعي وسهادي وارقي وحزني ووجعي بحيرة وغضب وعشق روايتي وحكايتك التي بقيت اكتبها على ورقي...و صلواتي ودعائي.....واحدة اخرى لم تطأ قدميها حياتك الا منذ بضعة اشهر لا غير ...

لا تعرفك ولا تعرف شيئا عنك لتاخذك مني وتاخذ مني كل شيء كان لي معك دون احقية...

انا التي ظننت انني ادرك الحقيقة.... اين كانت حقيقتك كل هذا الوقت؟

لماذا كنت تطلب مني الاعتراف بالحب في الوقت الذي كنت تجلس فيه على غيمة حب في سماء انثى اخرى لم تكن يوما امراه ولن تفعل...

اكنت حقا تحبها...

أم هل كنت حقا تظنني غبية الى هذا الحد؟

هل صغرعمري جعلك تستبلهني؟

هل كنت حقا تظن ان بامكان الانثى ان تكون بلهاء انت الذي قلت يوما ما:لو اجتمع جميع الرجال وجمعوا ذكاءهم لما كانوا ادهم من انثى واحده؟

في وقت كنت فيه انت والان لم تعد كذلك

الخطأ لم يكن خطئي طبعا... فبعودتي كنت اظن انك لم تتمكن حتى الان من تخطي خيبتك....

ولكنك كنت تسايرني ولم اخطئ بسؤالي يومها:

أنت عم تاخذني على قد عقلاتي؟

وانكرت ذلك! ولكن شعوري لم يخطئ فأنت من اخفيت الحقيقة والله من ارشدني اليها...

لانني لم احمل يوما سوء نية تجاهك ولست امراه تعشق رجلا على ذمة انثى اخرى...

لم اقبل ذلك في البداية لكنني عندما اراها تقول لزوجة اخيك "ناهد"تلك التي كانت صديقتها:

يا بنت حمايي!

سأقبل بالتأكيد عندما اراها تقول لك:

بدي اولادي يحملو اسمك بهويتهن!

سأقبل وارتضي رحيلك وسأرمي عيني التي تبكيك بالتراب وسأطفئ في القلب الذي يهواك سيجارة...

يؤسفني في قصتك معها انها عاطفة تتخللها واسطة... والواسطة لا تكون في الحب... لان لا شيء يوصلك الى قلب شخص ما الا قلبه في حد ذاته... لا امرأة اخيه او اخته او صديقته...

لقد قلت دوما ان حبي لك كحب والدة لطفلها...

كنت انظر اليك تماما كوالدتك....كنت اتمنى لك الافضل والارقى ولا اتمنى لك ان تنزل الى هذا المستوى... فأن تقول لك واحدة: بدي جيب اولادي منك! لو انها احبت غيرك لقالتها له ايضا!

لكن الحب اعمق واسمع ولن تبلغ عمقه فتاه على ذلك القدر من السطحية والتفاهة...

وبعد كل هذا لن اقدر على حبك حتى كصديق الحب وكلمة...

وبعد كل هذا لن اقدر على حبك حتى كصديق الحب وكلمه صديقي لن تكون صادقه اذا قلتها لك بعد الان....

لكنني لم اكتشف ذلك الا مؤخرا ...الا بعد الكارثة... لا ادري كيف رحنا نلعب تلك اللعبة التي لم نقدر على تصديقها ولكننا واصلنا ممارستها ببرود ...

رحت العب دور تلك الغبية التي لا تدري شيئا عن علاقتك وأواصل تسميتك ب:يا خيي! يا صديقي!

وكنت تعرف الحقيقة وتشاهدني العب دوري امامك بتميز...

المؤلم انني لم اكن اتقن التخلي كما انت... او ربما لم اتعلمه بعد كما فعلت انت

و كنت ادري جيدا انني عندما قررت الرحيل ثم تنازلت سأدفع ثمن تراجعي ذلك غاليا...

وان النهاية لن تكون جميلة كما نتمنى لكنني اسعى ان تكون اقل الم واقل خسارات...

كنت ابحث عن نهاية لائقة لقصتنا....نهاية طريق بعظمة هذا الحب....نهاية مفعمة بالسلام....بلا دمار....

يكفينا دمار نفوسنا ودمار ما حولنا في هذا البلد كي نصنع دمار قلوبنا ايضا!

أما عن نهايتك فقد اتت حتما ولم يبقى لك مكان بعد في قلبي

لكنني لن اصمت عما حدث لحبنا وعما فعلت به وعم حصل لي بهذه السهولة...

لن اصمت على مهزلة صنعتها يداك انهيت بها كل شيء بهذه البساطة حتى بعد انتهائك لان القصة لم تنتهي بعد...

كان عليك ان تعلم انني عرفت بحبك وعرفت بتفاصيل هذه المغامرة الجديدة الذي كنت تعيشها في الخفاء كاتما صوتها لا ادري أخجلا ام خوفا .... أكذبا ام سرا ... تأبى البوح به أنت الذي ليس من عادتك كتمان الحب او اخفاءه...

كيف لي ان اصدق انك كنت تحيا كل هذا بالتوازي مع قصتنا... تقفز من حبي الى حبها فوق كل الحواجز التي تمنعك عن فعل هذا...

وانك كنت تراوغ قلبي وقلبها متجاوزا جميع منعطفات الخيال والمنطق على حد السواء ...

متنازلا عن كل المبادئ متجردا من صدقك ووضوحك وشهامتك ورجولتك معتنقا النذالة الى هذا الحد المستفز من اللؤم....

وفوق كل هذا وبعيدا عن كل ما فعلته وما زلت تفعله كيف لي ان اصدق انه حب بما تحمله الكلمة من معنى فقد تجرد هذا الحب من كل معاني الحب...

وقد انكرت وانت تمارسه كل مبادئك في الحب مرتديا ثوبا جديدا من العاطفة لم اعهدك به من قبل .....

اي رجل انت

اي حب هذا

وانت اكثر من يدري ان الحب غموض وصمت وسر واتقان لحلم جميل بعيدا عن الاعين

واكثر من يرى ان الحب هو ان تجعل حبيبك ذلك لغزا تحتار به العقول...ولا تدرك كنهه وتحبه القلوب ولم تره يوما...

انت اكثر من يعرف ان الحب ليس التباهي بصورة حبيبك وسمعته امام الصديقات وان الحب هو ان تبقى السر لا يخرج من قلب المحبين مهما حدث ومهما حصل ماذا حصل لك حتى تمارس حبا يشبه كل شيء اخر سوى الحب؟

كنت ادري ان اشياء كثيرة تغيرت فيك لكن لم اظن يوما انك تتصل الى هذا الحد من السطحيه ومن الخوف من العمق ...

لقد اصبحت مؤلما مثيرا للسخرية حد الشفقة....

كان بقائي معك وقتها ليس اكثر من تنازل انتظارا لمجيء النهاية والخلاص من بقاياك بداخلي ....

فأنا كما تدري لم اكن بارعة في صنع النهايات مثلك...

شيء ما كان بداخلي وقتها تجاهك لم افهمه.... لكن ما كنت متاكدة منه حتى اليقين ...

هو انني لم اعد ارغب بك وانا بقائك لن يضيف الي شيئا سوى الم على الم..

فاولئك اللذين نحبهم وبعد ان الحقوا بنا الخيبة وخذلونا...

عادة لا ندري ما الذي يجعلنا لا نزال نشعر بشيء ما تجاههم لكن شيئا ما بداخلنا يخبرنا اننا لم نعد نرغب في وجودهم

اولئك الذين اخذوا حيزا في حياتنا اعمق من البحر واوسع من السماء لم نكسبهم يوما لان معرفتنا لهم هي الخسارة في حد ذاتها

لكننا لم نكتشف ذلك الا مؤخرا الا بعد الفاجعة...

في ذلك الوقت لم اعد اخاف شيئا اسمه خسارتك لكنني حاولت كثيرا ان افهم غايتك مما تفعل والى ماذا تريد الوصول؟

كنت تظن ان اهتمامك المفاجئ ذاك كان يزيدني فرحا وزهوا بقربك...

لو كنت تعرفني حقا لتيقنت انني اخافك واخاف قربك اكثر من أي شيء اخر في الحياة

ولعرفت ان قربك في الحقيقة يزيدني شعورا بقرب خسرانك..

فما معنى ان يسأل رجل قد قيد قلبه بعلاقة عاطفية مع انثى ان يسأل اخرى اعترافا بحبها له؟

لم كنت تريد سماعها مني؟

اتريد قتل الحب الذي اسعى انا لتخليده بالادب بكلمة؟

ان اقول لك احبك يعني ان احرق شرائط الفيلم كامله والا يبقى مجال لمشاهدته والاستمتاع به... ا

لم يكفيك كل ما كتبته لاجلك ولم يقنعك فقط لانك لم تسمع كلمه؟

هي كلمة مستهلكة تقال دوما حتى ولو لم تكن صادقه وحتى لو كانت خاليه من كل معنى!

كيف قبل اثنتينا بتلك اللعبة التي اخذنا في ممارساتها سويا مستمتعين بإخفاء ما يعرفه إثنتينا عن بعضنا البعض...

كيف قبل كلينا بتلك المراوغة التي حتمت علينا ان نلعب دور الصديقين فتتقبل ان اقول لك خيي واقبل ان تخبرني انني كأختك ثم نقبل ان نكرر على مسمع بعضنا البعض كلمة:مو احنا مثل الاخوات...

كانت لعبة مسلية ندري سويا اشواطها وطريقة لعبها ولكننا نراهن على جهلنا بنتيجتها...

كنت كالبحر عندما توغل في الدخول اليه تصادفك موجة تودي بك الى الشاطئ خارج اعماقه...

وكنت كلما ازددت غرقا بك ازددت ابتعادا عنك فترمي بي في كل مرة الى السطح وتتركني احتار بك اكثر...

لقد كنت امرأة تتقرب اليك مدفوعة بفضولها ودهشتها واندفاعها لاكتشاف ذلك الاستثناء الذي لم ترى شبيهه قط ...

فإذا بك رجلا يجلس امامها كطفل الى البيانو وهو يراه لأول مرة ويعزف عليه بأصابعه الصغيرة...

بفوضوية اكتشافه الاول للأشياء...

كيف قُـلِبَت الادوار بيننا هكذا فجأة ؟كيف تغيرت مواقعنا على رقعة الدهشة فأخذت مربعي وتحولت انا الى مكانك؟على رقعة اللامبالاة...

اترانا دخلنا شوطنا الثاني من العلاقة واضحى اعلان نهايتها قريبا؟

وهل لي ان اعلن نهايتك وان فعلت انت ذلك؟

وهل تراك تفعلها بي ثانية وتخذلني كما فعلت مسبقا فيصبح غيابنا هذه المرة ابديا لا فقط لسنة ونصف...

كنت احلم ان تأتي الي كطفل يذهب الى امه بفرح ليخبرها بأنه حصل على لعبته المفضلة...

ان تأتي الي وتخبرني انك وجدت حلمك وان قلبك قد استوطن اخيرا مسقط سعادته وانك قد وجدت اخيرا تلك التي تجيد فهم اعماقك وتتقن قراءتك دون حذر وخوف....

لكنها لم تكن تلك التي احببتها ولم اكن انا ولم تفعل ذلك ولم تجدها....

بل وبدل ان تبقى ذلك الاستثناء تغيرت لتنزل الى مرتبة العادي والأقل من العادي بعد ان تخليت عن اندفاعك وحماستك وطفولتك في الحب....تخليت عن الشيء الذي كان يصنع منك الاستثناء...

لم اصدق وقتها انك قد رقّ قلبك لحالي فأصبحت تعاملني معاملة حسنة وتغدق عليا اهتمامك لحظة انسحبت انا ولم اعد اهتم...

لماذا فعلت هذا وفي هذا الوقت؟

لماذا عندما قررت انا التخلي عزمتَ انتَ على الاقتراب؟

ولماذا عندما لم تكن محبًا كنت تحتقرني وعندما تمكّن منك الحب مجددا مع فتاة اخرى اتيت الي لتصبح رجلا لطيفا ورقيقا فجأة؟

بماذا لي ان افسر هذا؟

أتراك كنت تفعل ذلك متعمدا قبل ان تهيأ لي الارضية الملائمة للاعتراف وترغمني على البوح ضعفا امام لطفك ورقة مشاعرك وجميل كلماتك؟

كنتُ الوحيدة القادرة على قراءتك وادري انّ ما خمّنتُهُ هو الحقيقة...

لكنني خفتك فبقيت اتأرجح بين المنطق والعاطفة ....بين الهروب والبقاء ...بين الابتعاد والتقرب ...بين حبك وحقدي عليك... بين انتظاري ان تنتهي قصتك مع تلك التافهة... وبين اليأس من انتهائها والشعور بقرب انتهائي أنا...

رحت وقتها أتعمد لفت انظارك وفي نفس الوقت اتعمد سؤالك.:لماذا تقربك هذا؟ماهو سبب اهتمامك المفاجئ؟

وكنت تكتفي في كل مرة بقول انت خلوقة ومؤدبة ومحترمة ومزوقة.

ولا يقنعني جوابك وليس من الحقيقة في شيء ...

لكن الشيء الوحيد الذي لم اتعمده وقتها هو بكائي امامك...والذي لم تجد له انت تفسيرا....والذي لم يكن سببه سوى انانيتي بك لحظة قلت لك:"نحن نبكي امام من نحب ليس ضعف الامام إنما لاننا قد تعرضنا لشيء استثنائي لم يحدث ان رأينا شبيها به خلق فينا الرغبة بالبكاء... لم يحبك حقا ذلك الذي لم يبكي يوما

امامك ولم يعرف متعة الحب حقا محب لم يبكي امام حبيبه"...كما ذكر في كتاب ذاكرة الجسد للكاتبة الجزائرية احلام مستغانمي.

وقتها بكيت وأنا اقول لك :اسوء شي ممكن يصرلنا بحياتنا أنو ينضحك علينا من حدا غالي علينا ومنحبو ومنقدرو كتير احنا صرلنا 3 سنين اصدقاء بترجاك تقدر هالشي!

وقتها رحت احذرك مني بطريقة غير مباشرة لألمّح لك بأنني قد عرفت كل شيء....ثم كتبت على فيسبوك :اعزرونا ما رح نستنى منكن كتير...رح نتوقع منكن كل شي حتى ما ننصدم فيكن متل ما صار معنا زمان!

لكنني اكتشفت استمرار تعلقي بك لحظة قلت لي:

إزا بدك ببطل اهتماني هاد...اصلا ازا اهتميت مو خالص ازا ما اهتميت مو خالص شو بدك؟

كم خفت ان تتركني لحظتها وان تفعل بي ما قلتله حقا فحاولت دفع تلك الفكرة عنك كي تفهم قصدي فكتبت:

نحن عندما نخافكم فذلك لا يعني أننا قد دفعناكم لتقديم تبريرات عما تفعلون...ولا أننا اتهمناكم بالخطأ وقرأنا فيكم السوء...

نخافكم لأننا نحبكم ونعلم جيدا ...ان لا أحد يمكن ان ينجح في ايذائنا اذا فكر عدا ذلك الذي نحب...

نعلم جيدا انكم أنقى من ان تؤذوننا لكن حقنا ان نخاف ما دام لم يبقى في قائمه ثقتنا احدا عداكم... لا توجعونا اكثر ارجوكم فليتكم تعلمون سعادتنا بالبقاء معكم!

لقد تعمدت كتابه ذلك كإشارة لك وقد قصدي لكنني ندمت لأنني من جعلتك تدرك انك نقطة ضعفي فدمرتني وكانت لك القدرة على ذلك لكنني قتلتك بداخلي لحظة تركت لك تعليقا على فيديو اغنية عاطفية قلت لك فيه:

الله يخليكم لبعض ان شاء الله نفرح فيكم ونشوف ولادكم.

فما كان ردك الا ان قلت لي: الله يسلمك ويفرحني فيكي...بكل برود...

لحظتها كان عليك ان ترحل...

فلا انت لي ولا انا سأحظى بك مهما طالت مدة بقائي معك...

في النهاية زمرة الدم o+ تعطي لزمرة الدم o_ لكن لا تأخذ منها شيئا...

هكذا كانت علاقتنا كزمرة دمي انا وإياك...سأبقى اعطيك دوما لكنني لن اخذ منك شيئا مهما فعلت...

كان عليك ان ترحل وتنتهي لينتهي عذابي معك...

كانت لدي بعض القدره على التخلي عنك بعد ان علمتني اياه وعودتني عليه لكن المشكلة كانت في انك لم تكن حبا فقط لم تكن كذلك فقط يا غبي...كنت هوية وانتماء...عقيدة وجهاد....كنت تاريخا نضاليا ووطنا بأسره بالنسبة الي ...

اعتنقك لأطهر بك...ككِتّابيّ يعتنق الاسلام ليغتسل به من الذنوب...

كنت وطني وذاكرتي النضالية... كنت انت سوريا التي انتمي اليها....

كنت من جيل عظيم اكثر حظا بمعرفة سوريا مني ومن جيلي ...كنتَ متوحّدا فيها كنتَ عاشقا لها حتى الفناء تركتَ حياتك ووهبتها لها ولم تخشى الموت وقبلت به ما دام لأجلها...

رضيت بالبقاء على ترابها حتى تدفن فيها شهيد او تبقى على قيد الحياة رمزا لنضالاتها وجزء من تاريخها....

احببتك لأنك انت سوريا وسوريا انتْ....

لكن المفارقة كانت ان ذلك سبب نفسه الذي احببتك لأجله كرهت انت نفسك لأجلك...

كنت اعشق البدلة العسكرية الخضراء تلك التي كرهتَها وكرهتَ نفسكَ من اجلها...

اذكر اني سألتك في اللقاء قبل الاخير لنا:ليش ما نزلت صورتك ببدلتك عالفيس من زمان؟

فأجبتني:بس اتصور رح نزل.

وكنتُ ادري انك لن تفعل وانك لا تزال غبيا تكذب امامي_ انا الاكثر فهما لك_ وتظن انني ساصدقك....

كنت اكثر من يدري انك كرهت تلك البدلة وكرهت عملك كعسكري وكرهت حياتك المهنية والتحاقك بالميدان وتعبت من حالك المتواصل منذ اكثر من خمس سنين وانك تتمنى نسيان نفسك وحياتك ومن تكون ....تتمنى الهروب من كلما حولك...

وكنتُ اتسلى بالنظر اليك تستبلهني بغباء تماما كما تتغابى أنت معي وتستمتع بمشاهدتي العب دور صديقتك في الوقت الذي كنت اموت عشقا لك فيه...

كان الاكثر الما في قصتنا ان كلانا يدرك الحقيقة وكلانا يتقن اللعب باحتراف ....فبالغنا في قتل بعضنا وهماً وتسلينا بالنظر الى بعض ونحن نؤدي تمثيلية متقَنَة كلانا يدرك خفاياها...

لا زلت اذكر اول ايام شهر تشرين لحظة احتفيت بك قائلة:

اخيرا حل شهر تشرين ..... اخيرا حل شهرك لانتزع ثوب الايام وألبسك....لأعيشك انت لا تشرين ...

كم تشبه تشرين !

كم تشبه عُمقه وتقلباته ....حزنه وغُموضه ....دفئه وبُرودته ...

كصباح تشريني غائم انت ...كأمطار تشرين.... كرياحه... تخبئ شيئا ما بداخلك وحدك تعرفه ....

هنيئا لتشرين بك وهنيئا لنا بك بحضورك ....بوجودك في حياتنا ....كل عام وانت بخير....

كل عام وانت تشريني بإمتياز.

وقتها التقيتُ بك وقلتُ لك: كل سنة وانت سالم يا اغلى صديق بالعالم الله يخليك فوق راسنا يا ابيض قلب.

فاجبتني: وانتي سالمة بس ع شو؟

مو هاد شهر ميلادك ؟ حبيت كون اول رفقاتك بمعايدتك.

فقلت "شكرا"

قلتُ :الله يحقق احلامك ويطعمك اللي ببالك انت طيب وبتستاهل كل الخير.

قلت لي تسلمي كلك ذوق شكرا كثير.

خطئي كان انني عندما قلت لك يومها "كم تشبه تشرين"...

نسيت انك ستكون مثله بارعا في صنع النهايات وانك من سيضع النهاية....

ستكون مثله تتقن الغياب باحتراف وانك من سيبدأ في كتابة اول صفحة من قصة الغياب وانك تجيد النسيان بامتياز وانك اول من سينسى...

نسيت انك ستكون رجلا كتشرين ليس كمثله احد في الرقص على قلوب الاخرين ضحكا...

وحرقها وجعا كالمجانين والطغاة.... اذا فلن ابكيك ابدا يا وجعا لن يمحى ....

ستكتشف يوما ما يا سيدي فداحة خسارتك لي عندما تدرك ان لا واحدة تشبهني ....لا واحدة ستكون معك كما كنتُ انا او تكتبك كما فعلت انا ....ولا واحدة ستصل الى دهاليز أعماقك وتضيء عتمتها غيري...

عندما تصبح العودة مستحيلا ويبقى حبي كتابا على رفوف الذاكرة....

رحلت لتجعل قلبي احد شهداء تشرين ولم اتوقع يوما ان تشرين الذي كان شهر احتفائي بك سيصبح شهر النهاية...

كم يشبهنا تشرين !

كم يعبر عن جروح ارواحنا.... نرى في حزنه انفسنا ....في صمته حيرتنا ....وفي سكونه آلامنا... هو دمعة تحت جفوننا نأبى ذرفها...هو لوعة بين ضلوعنا نأبى كشفها....هو جرح قديم لا يزال ينزف وجعا.... نسينا ان نضمده....

هو لحظات تعرينا صمتا تكشف ما بداخلنا وتذكرنا من نحن حقا بعيدا عن بهجة الصيف وفرحة الربيع التي ليست لنا ...

كم يشبهنا تشرين وكم يقسو علينا !

نحن السوريون كم نشبه تشرين في صمته وجماله... في غموضه وجاذبيته....كم يشبهنا في انتصاراته وانكساراته ...

كم اريق دمنا على حافة ايامه ....وكم أسال دمعنا حضورُه...

وكم سجل اسماء لشموعنا الذين ارتقوا فيه شهداء خالدون طهُرَت بهم ارضنا وتطول القائمة بأسمائهم مع كل تشرين جديد...

اعشقك تماما كعشقي لتشرين ولكنني لن اقول لك يوما "بدي ولادي يحملوا اسمك بهويتهم"

لكنني ساقول لك سأنجب ابنا لأعلمه كيف يشبهك ....كيف يشبه تشرين...سأجعل منه نسخه مطابقة لك تماما ...

سيكون وجهه كالقمر ...سيكون صاحب ابتسامة جميلة وعيون حزينة وقلب ابيض وروح حلوة....

وسيحمل شامة تحت عينه اليمنى وشامة على خده الايسر مثلك ....

سيكون مثلك تماما...

وسابقى عاقرا دوما ما لم انجب اولادي منك!

رغم كوني الوحيدة التي اقدر على انجاب اولاد يعشقونك حتى العباده ويحبونك حد تقديسك...

اذكر ان اول ما كتبته بعدك...

ارحلوا بسلام لا تسببوا لنا مزيدا من الخراب ففينا ما يكفي!

كانت المرة الاولى التي اضع رأسي فيها على الوسادة وانا مجردة منك...

وكتبتُ دون ان تقرا ذلك...

"ربما لن احتفي بك بعد الان لكن ستحيا بداخلي دوما ولن انسى يوما ما انني في يوم كهذا قد وقع قلبي عشقا لرجل لن يتكرر دمت خالدا في قلبي يا من ستبقى وحدك قصتي...

ربما لن احتفي بك بعد الان لكن سيحتفي بنا العالم كل سنة

بحبنا....بلقائنا... وبذكرانا!

لقد كانت قصتنا الاجمل! وكان اجمل شيء فيها رحيلك...

يا سيدي يا سيد الغياب!

سيبقى عارٍ عن ذكراكَ عمري...

يا من لن ابكيه بعد الان ولن احترف تأبينه بين حروفي لأنه سيبقى الابدي دوما ....

ستبقى بعيدا عن العين قريبا من القلب حاضرا في البال دوما والى النهاية

ونهايتك لن تكون إلا بنهاية وجودي ...يا من اتقنتُ معه كل شيء سوى النسيان...

النسيان فقط لم يكن معك بالسهولة التي تجعلني اقدر على اتقانه...سابقى لأحييك دوما...

... يوم ميلادك... ويوم ميلادي ...وفي عيد الميلاد...

ولكم عشقتُ تلك الصدفة التي تجعل تاريخ ميلادي وميلادك يلتقيان سويا في نفس اليوم كل سنة...

لذلك ستبقى وحدك قصتي التي لن يصدقها احد...و سأبقى لأحكي القصة التي لن يطويها النسيان قط....سأبقى لأكتبك...لأذكرك...واستحضرك دوما...

يا ابن تشرين !

-16-

"لا قدرة لنا على التنصل من الاقدار...لن نقدر يوما على الفرار من مكاتيب كتبت واقدار قدّرت وحياة رُسِمَت"

اثير عبد الله النشمي

19 تشرين الثاني

مازلت على ما عهدتني عليه...

روح تائهة....وحيدة في أرض عليها مليارات من البشر... وفي مدينة الملايين...وفي حي مكتظ...وفي بيت مليء بأفراد أسرتي...

لا انيس لوحدتي هذه عدا تفكيري الذي يأخذني ويعيدني الى خيالاتي المعتادة مئات المرات في اليوم...كم اشتقتك يا سيدي

اشتقت ان أسألك بحماسي ذلك كيف أنت؟ فتجيبني بجفائك المعتاد:الحمدلله.

فأنتظر ان تسألني وكيف انت؟ ولكنك لا تفعل..

سيبقى وحده تشرين من يقدر على ان يميتني ويحييني في اليوم الف مرة....

لا ادري يا سيدي كيف لي ان أكتب عنك منذ اليوم وأنت من غادر هذا القلب بصفة مجرم محكوم بالاعدام مع وقف التنفيذ...

كيف لحبري ان ينزف بك بعد الآن ..بعد أن تركت بعمقي روحا تنزفك...

أنت خطيئتي الاولى والاخيرة...

فكيف تراني اغفر لنفسي خطيئتي هذه وأنت الذي ما علمتني كيف اتوب عنك....

هل لي ان اخبرك كيف اصبحت من بعدك؟

هل لي ان احكي لك عن قلبي كيف اضحى في غيابك..

هل تعلم كم يشبه حزني حزنك وكم نتشابه حد التطابق في حدادنا الدائم وسواد حياتنا القاتم الذي يقتلنا يا سيدي..

يا ليتني اقدر على ان اشاركك حزني كي يتحول فرحا ولكن الوقت قد مضى على علاقتنا وقد قتلها وفعل بها ما فعل...

كيف لك ان تحرك قلمي بعد كل هذا الوقت وكل هذه السنوات يا سيدي

كيف لك ان تحرك قلبي فتضيء قتامتهُ وتشعل برودته بعد كل هذه الاعوام..

كيف تدخل الى دهاليزي في ساعة متأخرة من الشوق كي تضيعني بين اشواقي وحنيني وألمي وذكراي وذاكرتي وكل ما بحوزتي من ماض جميل كان لي معك...

اين انت يا سيدي وأين أنا وأين نحن من الزمن...سيظل وقتي قتيلا من بعدك يا سيدي ولكن ما عساي ان أفعل..

فقد كتب الله لك ان تذر عمرك لسوريا وان اهب عمري للانتظار والنسيان .....فهل ترانا نصلح للحب؟

انه تشرين يكتبني ويمحوني من جديد...

أنا التي ما تعلمت في مدرسة الحب كيف تتقن النسيان فهلا تذكرتني كي لا يخسر الزمن من ذاكرتنا ...

أنا التي ما خبرت في مدرسة الحب كيف تنساك ولا تعلمت كيف تكرهك...ماذا عساي أفعل بقلبي وماذا لقلبي ان يفعل بك ...ما دمت تحيا به حتى هذا اليوم وبعد كل هذا الوقت..كل عام وأنت متميز عن الكل كل عام وأنت تشريني بإمتياز...

-17-

"وما اعتنقت في الحب سواك

وما مسني الضر منك الا لأنساك

فهنيئا عليك قلبي خذه ومزقه ما عاد بعد اليوم يهواك"

- ياسمين الخطاب-

23 تشرين الثاني

كان اللقاء قبل الاخير بيننا بذلك وكانت المرة الاكثر غرابة التي إلتقيتك فيها وقتها استغربت كثيرا كيف عاملتني وكيف تحدثت الي...

اتيت لتخبرني عن مشكلة حدثت معك كنت تبحث عن حل لها... قلت لي وقتها انا احدهم اصبح بحاجة الى اموال منك لأنك تورطت معه بسبب صديق احتاج اليهم وقلت لي انه ليس معك المبلغ المطلوب ب250 الف ليره سوريه سألتك وقتها وما الحل؟

فقلت لي:ليس هناك حل سوى بيع هاتفي لأجل ان أجمع المبلغ! فقلت لك:لماذا لا تخبر صديقك انه ليس معك في الوقت الحالي وان الذي اعطيته المال لا يجيبك بالهاتف وانك لم تره منذ وقت؟ فقلت باعتراض:معقولة انتي مستحيل! الحل الوحيد هو ان ابيع هاتفي لتأمين المبلغ وارجاعه لصديقي... سألتك:وإذا بعت هاتفك كيف سأتصل بك وكيف سنتواصل؟

فأجبت:سأغيب!

كنت ادري وقتها انك تختبر لهفتي وتضعها قيد امتحانك...أردتَ أن تعرفَ ردة فعلي عندما تهددني بالغياب وكنت أعرف جيدا انك كنت تنتظر توسلي في ان تبقى لكنني اجبتك ببرود تام:

لا مشكلة كان الله معك وابقاك بخير.

ثم غيرت الموضوع وقلت لك:منتجب هل لي ان اسالك سؤال شخصيا ؟

فأجبت بترحاب:تفضلي.

فسألتك بفضول:هل تم تسريحك؟

فقلت مستغربا: انا؟لا انا الان في الدوام.

فقلت لك:اليس هنالك امكانية لتسريحك؟

فقلت لي:لا...لا اظن ذلك

قلت:لقد سمعت مؤخرا انه من بين الحالات التي يتم فيها تمتيع الجنود بالتسريح هم اصحاب الاقدمية بخمس سنوات عسكرية.

فاجبت بيأس: كله كلام جرائد لن نتسرح حتى الموت.

قلت لك بحزن:اشعر بك لكن لم كل هذا التشاؤم لقد تحسن الوضع وتحرر الشرق السوري الذي كنا نظن قبل سنتين انه لن يبقى لسوريا بعد الان شرق ولكنه والحمدلله عاد لحضن الوطن!

صحيح انك لم تدرس وتجتهد وتتخرج وتتعب نفسك لتصير في النهاية عسكريا ولكن ماذا سنفعل اذا اراد الوطن بنا هذا؟

فقلت ليس بإمكاننا فعل شيء نحن لا نريد شيئا اصلا سوى الموت...

لم تقول هذا ابعد الله عنكم كل شر غدا يتم تسريحكم وتعودون لبيوتكم وأهاليكم...

فقلت انا شو بدي بكل هالشباب انا بدي موت بس.

فقلت لك لا تقل هذا غدا تتزوج ونرى اولادك لا تقلق.

قلت في محاوله لسلب الاعتراف منك:ألا تفكر في ان تخطب تلك التي تحبها ونفرح لك ونزغرد برؤيتك عريسا؟...الو ما بك؟اين انت هل تسمعني؟

اكتفيت بالصمت ولم تجب مدعيا انك لا تسمع وكنت متأكدة انك تسمعني ثم انقطع الاتصال لتتركني مشدودة الى دهشتي والشوق اليك...

تساءلت وقتها :"لم تعاملني كعشيقة تذهب اليها للتسلية ولكنك لست مستعدا للحديث معها في امورك الخاصة؟"

اتراك فعلت ذلك لأنك لا تريد الحديث في هذا الموضوع ام انك لا تسمح لي بالتدخل في حياتك الخاصة؟

لماذا تتصرف كالمراهقين؟

لم اكن اقدر على التصديق يأسك وحزنك الذي تتظاهر لي به..

او تصديق انك تريد الموت في الوقت الذي تمارس فيه عشقك لإمرأة تحيا واياها السعادة... لم اعد وقتها تلك الغبية التي تتألم لما تقوله كنت فقط أتأملك وانت تواصل تمثيليتك والفصل الاخير من مسرحيتك امامي...

اذكر أننا بعد ذلك التقينا مرة وقلت لك متغابية:اعتذر عن المرة الماضية لا ادري كيف انقطع الاتصال...

وكنتُ على ثقة انك من قطعَهُ... انتهى لقاؤنا وقتها بقولي:الله يسلمك وما يحرمنا منك يا غالي الله يفرح قلبك انتبه لحالك!

فأجبت:كلك ذوق...

لقد كان اللقاء الاخير بيننا دون ان ادري !

وقت قررت ان ازيل قناع الفتاه الطيبة صاحبه القلب الابيض التي لا تزال تتغابى ابقاء على حبك... والتجأت الى تطبيق فيسبوك وكتبت نصا قلت فيه بالعامية.

"لا تقلي كلمة بحبك قلي انو شفتك شخص كثير حلو ومعجب وحابب نتسلى شوي نتسلى مو نحب بعض خلينا نعمل ارتباط قدام الف واحد واتباهى فيك وانه شوفو يا ناس من حبيبي..... حبيبي شخص كثير حلو والكل حابب يوصلو أنا ارتبطت فيه...قلي انه نحن عم نتسلى على بعض مو عم نحب بعض..قلي بدك تتسلى وتسميني حبيبي وعيوني وانت من جوا لا بتحبني ولا بحبك وهو اعجاب مؤقت...وولدنة وبتروح لان الحب مو هيك... الحب مو برستيج وتباهي بوسامة حبيبك قدام العالم ... لما بحبك جد ما راح اعرضك للعالم لو شو ما كنت تكون....الحب انه اختارك لحطك جوه قلبي وما خلي حدا يعرف اسمك او يشوفك او يقرب عليك او يحسدني عليك الحب هو الحفاظ على قلبك والسرك مو ع برستيجك...رجاء لا بقى تخلطو بين الحب والتسلاية مشان بريستيجكن... كلمة بحبك اعظم من انه تنقال كذب"

ذلك النص الذي ادري جيدا انك قرأته واعدت قراءته عدة مرات كنت اريدك ان تعرف وقتها طبيعة علاقتك برهام وأنها لم تكن حبا يوما ولم تكون...

لم نلتقي منذ تلك اللحظة...

حتى كان يوم افتتاح مهرجان دمشق في دار الاسد للاوبرا... وكنت قد تأنقت وجهزت نفسي للحضور كضيفه تمثل الادب السوري... وصحفية في نفس الوقت...

كنت قد ارتديت فستانا اسودا لم اكن ادري انني أرتديه لتوديعك...

اردت وقتها الاتصال بي وكررت اتصالاتك ...ولم اجبك وحين رفعت عنك السماعة قلت لي الو...الو...ارجوك اجيبيني فرح...

واذا بي اقطع الاتصال...

رحلت اذن ورحل كل شيء...

وقفت صامتة امام ما فعلته... هستيريا من الضحك لا ادري ماذا كان سببه... الم تقل تلك الكاتبة التي بسبب كتابها كرهتك وبسبب كتاب اخر لها احببتك...

ينتهي الحب حقا عندما نضحك من الشيء الذي يبكينا يوما بسببه...

شعرت لحظتها بأنك صفعتني وشعرت ان خدي يؤلمني وهما... ولكنني شعرت بالانتصار عليك وضحكت لأنك انتهيت ونهايتك كانت مضحكة... واتجهت الى مقعدي الشاغر في القاعة المخصصة من دار الاسد ...دون ان تجرؤ عيناي على انزال دمعة واحدة لاجلك...

23 تشرين الثاني افترقنا الساعة السادسة مساء....

اذكر انك قبل شهر بالضبط يوم الثالث والعشرين من تشرين الاول الساعة السادسة مساء في نفس التوقيت وفي نفس اليوم منذ شهر فقط لا غير... قلت لي: خليكي قوية لا تخافي من شيء!

واجبتك وقتها:له تاج راسي مو نحنا لي منخاف.

وقتها عبرت عن خوفي من خسرانك ولانني لم اثق يوما بوعودك بالوفاء...

لتجعل من جملتك تلك بعد شهر اشبه بوصية لي للحذر منك انت ولا احد غيرك...

اردت ان تعلـّمني ان لا اخافك ولا اخاف شيئا بعدك ولا اخاف دونك... بعد عودتي الى البيت وجدتك قد الغيت الصداقة فتركت لك رسالة على الفيسبوك كتبت فيها... لا ادري وقتها لماذا لم اطلب منك عذرا ولا سببا ولا سألت نفسي لم فعلت هذا؟

اكتفيت بتوديعك صمتا كما فعلت أنت معي بعد ان تركت رسالة كتبت لك فيها:

"شو صار انا قللت من احترامي الك شي؟ ليش عم تتصرف معي متل الاطفال؟منتجب رح ضلني متشرفة فيك بتمنالك كل الخير"ولم تجب.

في الحقيقة كنت اريد صناعة النهاية لكنني لم اكن بارعة في خلق النهايات الا في رواية... اما عنك فكنت اكثر جرأة في وضع نقطة انهاء السطر... تركت لك دفة القيادة لتضع حدا لهذا الخوف الذي ينتابنا سويا من بعضنا... وهذا التردد الذي يقتلنا....لقد كنت انت في حاجه لبداية جديدة وكنت انا امثل جزءا من الماضي الذي تكرهه وتريد الخروج منه لذا كان علي ان اسمح لك ان تجدد نفسك وذاكرتك فلا يمكن للماضي والحاضر ان يجتمعان في جملة واحدة ليكتبا القصة معا...

انت ظننت دوما ان كتمانك نقطة قوتك وظننت انا دائما ان عمقي هو نقطة قوتي بينما كانا نقاط ضعفنا اللذين افشلا حبنا ...كم نشبه بعضنا!

لكنني كنت اعظم واقوى واعمق منك وكان حبي اصدق من حبك....

كنت امنحك صدقا خالصا وكنت تمنحني وهما بحتا... لذا لم تنجح معي في ان تكون صديقا ولا حبيبا ولم تكن شيئا عدا بطل رواية ولم استطيع بدوري ان اكون شيئا عدا كاتبتها....

فشلت ان تكون بعمقي انت الذي اوهمتني بعمقك...غرقت بي بدل ان أفعل... فهنيئا لك فشلك وغرقك وموتك بداخلي....المشكلة اننا قد وصلنا لمرحلة لم يعد فيها الاهم هو بقاؤنا او افتراقنا بل ما يمثله كلانا للآخر....

لقد اضحى كل لواحد منا يُعَدّ وجعا وجرحا للآخر الذي يعيقه عن بداية جديدة... واصبحنا بحاجة للتخلي عن الماضي ونزع رداء الالم الذي يكتسينا...و كنت انت الاجرأ على فعل ذلك...

فشكرا لك لأنك منحتنا الشفاء سويا... علنا نقدر على ان نتعلم كيف نبتدأ من جديد ولا نعود الى الماضي لنتأذى به مجددا....لقد تغيرت ملامح قصتنا الان ولم تعد كما كانت عليه منذ سنتين فانا اليوم لم اتأذى بخيبتي بك... ولن ابكي على خذلانك لي ولن ادعي خسراني اياك ولا خسرانك لي...

فهذه المرة اكتفينا بالرحيل بسلام وتجاوز كلينا مرحلة الرغبة في ايذاء الاخر وجرحه وإيلامه فكلانا يدري أننا ثملين وجعا ولا يزال نزيفنا يقطر.....ولا داعي لإلحاق الاذية ببعضنا...لن يؤلمني أنني جددت ثقتي بك فرغم انني فعلت ....إلا أنني ابقيت هذه المرة جزءا احتياطيا يتوقع الخيبة....كي لا يتكرر ما

حصل لي سابقا...فعندما عدنا قلت لك... "انا ما عندي ثقة فيك"واستغربت وكنت محقة وأنت تدري أنني كتبت طويلا لقرائي...

"علينا الا نتوقع من الذي خذلنا مرة الا يخذلنا ثانية ولكي لا تمت مرتين لا تعد لمن خذلك"

لذا كنتُ على استعداد دائم لأن تفعل ما فعلت ولكنني لن اموت ثانية بل سأخلق من جديد...

لن تقتلني لكنك ستحييني فهذا ما توقعت وهذا ما حدث وهذه هي النهاية الطبيعية لفتاة كانت معك أعمق من العمق وفوق الذوق وأرفع من الخيال واحلى من الحلم واجمل من الحب...

نهاية طبيعية لفتاة لم تنتظرها بل كانت فوق كل إنتظاراتك...

لم تتوقعها بل تجاوزت كل توقعاتك...

لم تحلم بها بل كانت أجمل من أجمل احلامك...

أخافتك لأنها بقيت حلما ولم تقدر على النزول الى الواقع ولا يمكن ان تكون واقعك...

خفت ان يقتلك هذا الحلم...خفت ان تعيشه حقا وان تصدقه حقا...

فقررت قتله هربا وخوفا...

كان رحيلك راحة لي..أكثر مما كان خيبة او خذلانا اكثر مما كان خيبه أو خذلانا فأنا دوما سيدة الافعال وانت دوما سيد الكلمات...

وكل ما كنت تقوله وتمليه كنت ادري انه سيكون كذبة ولن يصدق وان قصتنا حلم وليست واقعا تعبنا من بعضنا وأضحى وجود كلّ منا يمثل ألما للآخر فاخترنا الشفاء سويا ...لم اطلب اعذارا ولا استفسارات ولا فهما ولا تبريرات لن اطرح اسئلة ولن اذرف دموعا... فقد شفينا سويا من بعضنا ومن الحب...

لقد كان حبا اعظم واضخم من هذا الواقع البائس الوضيع ولا يمكن للعظمة ان تخضع لقالب الوضاعة وتتجسد فيه و تتشكل به...

لقد بقي حبنا في الاعالي وبقينا في الاسفل ننظر اليه من بعيد كسماء لا يمكننا لمسها....

لكننا نستمتع بمشاهدتها فهي اسمى من ان نقترب اليها ونطمس روعتها بأيادينا ....

لقد جعلت قلبي احد شهداء تشرين تماما كشهداء سوريا...

لقد هربت كارنب هربت خوفا من فتاة لم تعترف لك بالحب ولم تفعل فأنت من طلبت منها ان تكون منطقية عندما اعترفت سابقا فاذا بها وبعد ان اصبحت كذلك منطقية قررت انت الرحيل ....

علمتني انه ليس علينا ننتظر البداية بل ان نصنعها بأيدينا بعد كل نهاية اختارها القدر....

وليس المهم الان أرحلت ام لا بل الاهم انني لم اتنازل ولم اعترف لك

فلست انا من تعترف بالحب لرجل يعشق امرأة اخرى ويأخذ منها الحب لم استغرب ولن افعل مما فعلته بي...

فلطالما عودتني ان الغدر طبعك وانك اذا وعدت فتفعل عكس ما عاهدتني به حتما...

وانني اذا وثقت بك فستخذلني تماما لن تتجدد خيبتي بك لانني اخذل مرة لا مرتين وابكي مرة لا اثنتين ....

لقد كان خيارك هذا صوابا وعين الصواب وكنت انتظر ذلك طويلا.....

فلطالما كنت اكثر جرأة مني على صناعة النهايات وعلى تحمل الفراق وعلى الصمود امام الوداع

كنت تكبرني بعمر من الخيبات والصدمات والخذلان والحزن والالام ....

فيكفيك ما قاسيت ويكفيني صبرا.....

لقد كنا نفعل ما نفعله ولا ندري انه دون جدوى....

قلت لي وقتها "لا تخافي من شي"... ولم تعلم انك اكثر ما كان يخيفني....

لكنني سأمتثل لوصيتك وسأكون قوية دون كلامك وبعد كلامك...

لن اخافك لن اخاف شيئا من دونك...

ولن اخاف نفسي حين اذكرك وسأكتفي بابتسامة....

يا صانع الابتسامة والدمعة في قلبي....

يا سعادتي وحزني...يا املي وخيبتي.... يا ثقتي ولوعتي ....يا حبي وازدرائي....

يا قلمي وألمي.... يا حلمي وكابوسي....

لن اخافك سأبقى قوية...سأبقى امرأة.....سابقى سيدة نفسي وسيدة الحب التي لن تجد بعدها اخرى تعطيك الحب التي اعطتك اياه ...ولن تجد اخرى تصطبر عليك كما صبرت انا ....

انت فعلت ذلك بكل جرأة لأنك متأكد ان مكانك امن في قلبي وان الزمان لا يقدر عليك وعلى تغييب ذكراك مهما حصل....

ففي النهاية كنت انا بين كل اللاتي عرفتهنّ.... الوحيدة التي استمتعت بتعذيبها بكل ما تملكه من وسائل...

والوحيد التي بصقتَ في قلبها سمّك الزعاف حتى احرقته مكافأة له عن حبه لك...

انا اليوم لن اطوي الصفحة ابدا بل سأغلق الكتاب وأضع نقطة النهاية...

سأسلم كتابك ذاك لأنثى غيري لتكتبه بكلماتها وتخطّه بحروفها .....

لتواصله بحبها وترسمه بجنونها بطريقتها....

ولتبدأ بك حكايتها علّها تكون احلى من قصتي هذه التي لن تنتهي لكنها ستتوقف حفاظا على الذاكرة من التلف حبا...

فأحيانا يصبح علينا ان نوقف شريط الذكريات قليلا لأن الذاكرة كما البطارية اذا استهلكت كل طاقتها احترقت...

اسفة يا سيدي لكنني لن اسمح لوجودك ان يستمر حتى في خيالي....

انت فقط ستبقى وحدك بطلي ...اسطورتي وقصتي التي لن اكتب غيرها حتى لو انتهت...

لقد كان اخر ما كتبته عنك "تذكر دوما ان في الضفة الاخرى من المتوسط قلبا ينبض بك ولم ينسى اسمك مادام حيا"فتذكر!

"وافترقنا اذا ...

الذين قالوا وحده الحب لا يموت اخطئوا ....

و الذين كتبوا لنا قصص حب بنهايات جميلة

ليوهمونا ان مجنون ليلى محض استثناء عاطفي لا يفهمون شيئا في قوانين القلب ...

انهم لم يكتبوا لنا حبا كتبوا لنا ادبا فقط ...

العشق لا يولد الا في وسط حقول الالغام وفي المناطق المحظورة ...

ولذا ليس انتصاره دائما في النهايات الرصينة الجميلة...

انه يموت كما يولد في الخراب الجميل فقط ..

اذا فيا خرابي الجميل سلاما!

"احلام مستغانمي"

-18-

"الخوف هو عدو الحياة وعدو الحب ولا شيء يحررنا سوى الحق"

هيفاء بيطار

فلتبقى على صمتك يا سيدي ما لم تقل انت سأقوله انا على لسانك...

بعد شهر...وتحديداً يوم 23 نوفمبر....

وجدت رسالة في ظرف بتوقيعك في علبة الرسائل امام بيتي اخذتها وفتحتها لأعرف ماذا كتبت فيها فوجدت ورقه فوقها بضعت ياسمينات وضعتهن بأناقة لا ادري لماذا تراك فعلت ذلك ولكنني ادري انك تعرف جيدا عشقي للياسمين كنت ارتعش وانأ افتحها... قلت فيها بلا مقدمات:اعلم انك استغربت مما حصل بيننا لكن ذلك كان نتيجة طبيعية لقصة محكوم عليها بالفشل منذ البداية...تتسائلين لم فعلت بك هذا؟

لقد صمتتِ انتِ وخفتُ انا ...فرحلنا وكل واحد منا يظن ان الاخر لم يعد يريده...

افترقنا لأن الصمت قتلنا والحب يريد ان يكون معلنا ولا يريد الاختباء تحت الصمت....

عندما قلت لي وقتها لن اخبر عنك احدا سأجعلك سرا يختبئ تحت الصمت ...ظننتِ انني سأفرح بذلك لكن ذلك لم يسرني...

لأنك لم تخبئينني تحت الصمت بل خبأتِ حبي تحت صمتك...خنقته وكان بحاجة للتنفس..أ

بقيته في العتمة وكان يحتاج الضوء كي يعيش..لم تدركي ان الحب كنبتة تحب ان ترى الضوء وتستنشق الاوكسجين لتحيا واذا تركناها قيد التخبئة ستذبل حتى الموت...

لطالما ادعيت فهمي لكنك لم تفهميني ابدا في الحب... لم أحب يوما الفتاه التي تخاف الحب كنت تظنين انك وحدك من تأبين الاعتراف ووحدك تخافين الحب...وحدك تكابرين ووحدك تكتمين...لكننا كنا سويا كذلك...لم تعرفي ابدا ان حبك كان مخيفا بقدر روعته...مربكا بقدر عمقه ورحابته...

كان طريقا مظلما لم أدر أين ستكون نهايته ومتى وكيف...فخيرت ان اصنعها قبل ان تأتي الي...فقد سبق وقلت بنفسك:

أحيانا يجب علينا ان نصنع النهاية قبل ان تأتي الينا النهاية.

فعندما بدأت بالابتعاد والتجاهل ببطئ...وبدأت بالتغير تماما كما فعلت أنا منذ زمن...شعرت انك تقتربين من وضع نهايتي وتريدين قتلي في قلبك...فخيرتُ الانسحاب...لقد شعرتُ انك تشبهين ضحى وقتها...كم شعرت بأنك قاتلة بارعة ترغبين في قتلي تماما كما فعلت في كتابك ذاك...

تريدين جعلي شهيد حبك...وكنتُ رجلا بقلب مقتول منذ زمن...وأنت وحدك من تعرفين ذلك...

كانت تكفيني ميتتي الاولى...ولا اريد لذلك ان يتكرر يا عزيزتي ...

ادرك انك لا تريدين خسارتي وانني وعدتك مرة بقولي:

ما رح تخسريني ما دمت احيا في أعماقك ...

ولم أفعل ذلك الا خوفا من ان أكون ضحيتك بكرامتي من دون اهانتك لي...

لأنك لو كنت من صنع هذه النهاية...لكانت اهانتي حتمية...كان آخر ما كتبته عني:

" لا تقلي كلمة بحبك قلي انو شفتك شخص كثير حلو ومعجب وحابب نتسلى شوي نتسلى مو نحب بعض خلينا نعمل ارتباط قدام الف واحد واتباهى فيك وانه شوفو يا ناس من حبيبي..... حبيبي شخص كثير حلو والكل حابب يوصلو أنا ارتبطت فيه...قلي انه نحن عم نتسلى على بعض مو عم نحب بعض..قلي بدك تتسلى وتسميني حبيبي وعيوني وانت من جوا لا بتحبني ولا بحبك وهو اعجاب مؤقت...وولدنة وبتروح لان الحب مو هيك... الحب مو برستيج وتباهي بوسامة حبيبك قدام العالم ... لما بحبك جد ما راح اعرضك للعالم لو شو ما كنت تكون....الحب انه اختارك لحطك جوه قلبي وما خلي حدا يعرف اسمك او يشوفك او يقرب عليك او يحسدني عليك الحب هو الحفاظ على قلبك والسرك مو ع برستيجك...رجاء لا بقى تخلطو بين الحب والتسلاية مشان بريستيجكن... كلمة بحبك اعظم من انه تنقال كذب"

وكنت ادري جيدا انك تتحدثين عن علاقتي برهام...وكنت تقولين الحقيقة ففي النهاية وحدك من تعرفين أنني رجل هارب من ماضيه الى حب ينسيه جرحه...ولكنه لم يكن يوما الحب الحقيقي...ليس أنت...وهي ليست مثلك...ولن تكون...فلا شيء شبيه بك وبحبك الذي اغدقته علي...مازلت أذكر جيدا يوم سألتني: أعلمتك الادب لتحاربني به؟

لقد كنت تعشقين الادب وتظنين انه يحقق كمالك وانه يمنحك حلولا لمشاكلك في الحياة...

لكنك عرفت اشياء وغابت عنك اشياء كنت تقولين لي دوما أننا نقول ما يجب ان يقال لا ما نريد قوله ...ربما لأنك لم تقرئي كلام جورج برنارد شو... ذاك الذي قال: الكلام الذي تخشى ان تقوله هو الكلام الذي ينبغي ان يقال...

ما لم تقوليه يا عزيزتي هو الذي كان يجب ان يقال " ألم تقولي يوما ان الصمت ضوء أحمر ينذرنا"

إن الصمت يتسبب في الارباك دوما يا عزيزتي...

لكن خوفك منعك من إنقاذ قصتنا من الكارثة...

لما لم يجرؤ احد على البوح؟ لم كنا نخاف بعضنا الى هذا الحد؟ لماذا لم نهدم جدار الكبرياء والمكابرة الفاصل بيننا؟ألم تكفينا فوارق المكان والزمان والعمر والطائفة والدين والجغرافيا والأوضاع التي حتمت افتراقنا؟

تتسائلين لماذا فعلت بك هذا في منتصف الطريق الجميل ورحلت...رحلت لأن نهاية هذا الطريق لن تكون جميله جماله رحلت لأنك كنت حلما جميلا لا يمكن ان يكون واقعا لأنه ولد خارج رحم المنطق ....ولد في العتمة ليموت ذعرا من الظهور امام الاعين فقتل نفسه صمتا... كي يبقى سرا جميلا لا يفتضح....

لطالما كان شهر تشرين الذي كنت متيمة به شهرا للموت... شهرا للنهايات ..شهرا للحزن... شهر لتأبين ذكرياتنا وفراق من نحب وطي ذكراهم...شهري ذاك الذي كنت تحتفين به كل سنة و تحتفلين بدخوله هو شهر يناسبني ويشبهني تماما... مطابق لحزني لقهري لألمي.. للنهايات التي اعلنت في حياتي وكما كنت

تقولين ...كصباح تشريني غائم انت ولدت في احدى صباحات تشرين الغائمة لاعيش حياتي تحت غيمة رمادية ماطرة تبللني ألما وحزنا حتى في لحظه فرح...

ربما احزنتك لا لأنني اخترت تشرين للرحيل وفي يوم خميس.. نفس اليوم الذي عرفتك فيه وفارقتك فيه منذ سنتين ونصف ونفس اليوم الذي اتيت فيه الى هذه الدنيا ...لأنني اخترت تشرين الذي كنت تحينني فيه وسترين الان انه اصبح شهرا لتأبيني لا ميلادي...

لكنني فعلت ذلك لأنني متأكد انك لن تكرهي هذا الشهر لمجرد افتراقنا...لن تؤبنيني مجددا لأنني سأحيا بداخلك الى الابد... سابقى كما قلت بطلك الوحيد اسطورتك الاخيرة وقصتك التي لن تكتبي غيرها...حبك التي لن تحتفي بغيره وسعادتك التي لن تعرفي شبيها بها حتى لو عشت ألف حكاية بعدها ...

لا تكرهي تشرين يا عزيزتي فهو سيبقى يحبك ويذكرك دوما ولن ينسى حروفك ولن يقرا ما اجمل منها .....

انك عندما قلت ان يناير صانع البدايات وتشرين قاتلها ومعلن النهايات لم تكوني خاطئة ...

لقد اعلنت النهاية لكن ليس جبنا ولا هربا ... لقد خفت الوقوع في الحب تماما كما خفت انت الاعتراف وكلانا كنا ندرك اننا لم نخلق لنكون سويا....

اذكر ان تلك الكاتبة التي تحبينها قالت على لسان بطلها في ذلك الكتاب ذاكره الجسد التي قلت انك اعتزلتني بسببه والذي كتب في سنه ميلادي عام 88 قال:اتدري انني احببتك لقد اردتك واشتهيتك حد الجنون شيء فيك جردني من عقلي يوما ولكنني قررت ان اشفى منك كانت علاقة حبنا علاقة مرضية.

وقال ايضا :عزائي اليوم انك من بين كل خيباتي كنت خيبتي الاجمل!

وقال كذلك ان الحب الكبير يظل مخيفا حتى في لحظات موته يظل خطيرا حتى وهو يحتضر.

لقد اخترت الرحيل لأننا اذا بقينا سيبقى زمنا يعبث بنا اكثر وأكثر لقد قال ذلك البطل في تلك الرواية ما أغرب علاقتك بالزمن وما اغرب ذاكرتك.

كان محقا!

لقد كانت ذاكرتك قصتي لذا لا تلومي خوفي منك فأنت لست كما احد ولا احد يشبهك...

لقد قال ذلك البطل:

لا تتطاولي على حطامي كثيرا.

وقال:

انا الذي قتلتني لعدة اسباب غامضة واحببتك لاسباب غامضة اخرى.

وأضاف: فلنعترف بأننا تحطمنا معا

وقال :العشق ليس ارجوحة يتجاذبها الممكن والمستحيل...

لقد كنا طوال الوقت يجذبنا الممكن والمستحيل و لقد كنا ندري انك لانا محطمين و كلانا لديه ما يكفي من آلامه وكلانا يدرك عمق اسى الاخر وجراحه لذا رحلنا سويا بسلام دون ان يجرا احدنا على اذية الاخر فلطالما كنا ملجأ الامان لبعضنا فكيف ترانا نصبح فجأة مصدر وجع وحزن لبعضنا...

لقد قلت مرة اننا اجتمعنا لاجل ان نفترق من جديد... لكننا في الحقيقة عدنا ليخلد كل منا مكانة الاخر في قلبه ....

اهنئك سيدتي الذكية عرفت كيف تحتلين مكانتك من الذاكرة وتحصلين على الكرسي غير قابل للنسيان

عرفت كيف تصنعين خلودك في اعماقي ....

لقد قال ذلك البطل: "احلق على تضاريس حبك على ارتفاع تصعب معه الرؤية ويصعب معه النسيان"

لن اراك مجددا لكنني لن انجح في نسيانك من جديد كما لم تنجحي انت في الاعتراف لي بالحب...

لكنك في النهاية اكدته لي دون كلمات تماما كما كنت أقول لك الكثير عن نفسي دون نطق حرف واحد وكنت تقرئينني طوال الوقت دون ان اكتب لك شيئا!

كيف كنت تفعلين كل هذا ....لم ولن ادرك ذلك ابدا...

ستبقين دهشتي وحيرتي الدائمة ولغزي الذي لن ينكشف .....

ستبقين كأم وحدها من تعرف سر طفلها دون أن يعرف هو سرها ودون ان ترضى بإخباره...

انه ذكاء الام في ابقاء ابنها مدهوشا دوما ومشدودا ابدا اليها....ربما لم تدركي يوما انني كنت طوال الوقت اخافك تماما كما تفعلين... كنت مدهوشا بك كما انت... كنت مستغربا... كنت افرح وابكي في آن امام شيء استثنائي لم يسبق ان رأيت شبيها به... لم تدري ذلك لأنك كنت مشغولة عن مشاعري تجاهك بمشاعرك تجاهي...

كنت ترين فيّ رجل يجذبك... طفلا يثير شفقتك....ماضيا يساعدك....شخصا يشبهك... لغز يحيرك....

كنت تكتبينني وتحاولين شدي اليك والوصول لاعماقي واضاءة عتمتي واثبات انك وحدك من فهمتني وانك وحدك من كنت الاستثناء بين النساء ...

لكن كل ذلك كان يشغلك عن اكتشاف خوفي امام حروفك وضعفي امام كلماتك وذعري كطفل يخطفه مجهول من نفسه....

بكلامك ذلك الذي يجعلني صفحة شفافة امام الجميع...

كنت تقولين انني وطنك لكنك جعلت وطنك مستباحا امام الكل بفضح حروفك لأعماقي وملامستها لظلمات دهاليزي...

كل ذلك جعلني ألتجأ للتخلي... رغم اني لم ارغب به ووعدتك بان خسارتك لي لن تتجدد...

وستقولين الان انني صاحب الوعد الكاذب لكنني اقول لك انني الطفل الخائف الهارب من شعلة حارقة دخلت حياته اذا تواصلت ستحرق كل شيء...

كنت الوحيدة التي تدركين خوفي من ان تلامس انثى اعماقي وتدخل دهاليزي ومع ذلك كنت الوحيدة ايضا التي تجرأت وفعلت....

انت من جعلتني طفلا يهرب منك خوفا لأنك خدعت بقوتي تلك التي كنت احاول اقناعك بها عبثا...

فقد كنت أنت متيقنة من ضعفي وها أنا قد اثبته لك ليس جبنا ولا ضعفا يا عزيزتي ..

انما لأنك وحدك كنت بحرا لم أجد السباحة فيه ... وحدك كنت الاكثر عمقا مني على عمقي...والاكثر اثارة وإيلاما مني...

لقد المتني كثيرا... وأخفتني اكثر مما فعلت انا بك....

لقد قلت انك كتماني هو نقطة ضعفي وان عمقك هو نقطة ضعفك اللذين ظنناهما سويا نقاط قوتنا....

وكان ذلك صحيحا ففي النهاية وحدك من تدركين الحقيقة ووحدي وإياك من ندرك اننا حقا نتشابه ونتطابق حد الجنون وحد الخيال...

لقد كان جنوننا جميلا وقصتنا اجمل لكن خوفنا قتلها...

ربما كان الحب الذي وهبنا اياه الله اكبر منا اعظم من ان يستمر بيننا ويتواصل بين المد والجزر وبين الاحتمال والممكن والحقيقة والوهم والواقع والخيال...

لقد حاول ان يولد فبقينا نتجاذبه بين المتضادات حتى رحل وتركنا اطفال نحاول تركيبه كبناية من (الليغو) من جديد...

نحاول تعلم انشاء البداية وترك الخيبات ودفن الماضي وإطفاء النيران والمشي على الرماد دون الم واحتراق...

لم تخطئي حين قلت ان ذاكرتينا لم يعودا متشابهين منذ وقت بعيد... ولكنك اكتشفت ذلك متأخرة...

لقد قال ذلك البطل في رواية ذاكرة الجسد: منذ زمان عقد كل واحد منا طريقا مخالفا للاخر ونحن نعيش بمفكرتين متناقضتين احداهما للفرح واخرى للحزن.

لقد كانت تلك الايام التي احببتها هي المي وجرحي الذي تعبت للشفاء منه واتيت انت للمسه بإصبعك الطفولي الصغير من جديد....

كنت تستمتعين بتحريك الماضي بداخلي وتعذيبي على وقع معزوفته المأساوية... وترقصين فرحا برؤيتي اقف مدهوشا امام نجاحك في القيام بذلك...

وقد قال ذلك البطل: فلنعترف بأننا تحطمنا معا!

اجل لقد تحطمنا معا وكان حطامنا موجعا ...ان كلانا يمثل وجعا الاخر وذكرى مؤلمة له ولا يمكننا البداية معا ونحن ثملين ببعضنا ...كان كل منا يحتسي الوقت مع الاخر كمحتس للخمر ينتشي بسكره ويدمر نفسه في آن... كنت اقول في نفسي لك: اوقفي هذا النزيف ارجوك! وكنت كطفلة يدعوها اباها للكف عن اللعب فلا تبالي... فتواصلين اللهو منتشية بحرائقي...غادرتك وقد تركتني ارضية محترقة مشيت على رمادها لترحلي الى الابد...

اي امرأة انت؟

لقد كان بقائي حماقة وقد قال ذلك البطل:هنالك حماقات يجب عدم ارتكابها!

ثم واصل: إنك اكثر من امراه انت وطن بأكمله!

ثم اعترف قائلا:لم اغفر لك حاولت فقط ان اتعامل معك ومع الوطن بعشق اقل واخترت اللامبالاة ...عاطفة واحدة نحوكما.

كنت كوطني... هذا الذي اعيش فيه ألما ووجودي فيه لا يتعدى الحدود الاقليمية للوجع... لذا كان علي ان اتجرد من انتمائي اليه وأسعى للخروج منه... ومع انني ادرك جيدا انك ستبقينني بأعماقك لأنك سيدة الوفاء... لكن اصبح علي هجران كيف انت تظنين ان وجودي بداخلك يحييني وأنا ارى انه يقتلني ولا يمكننا الاتفاق مجددا....

لم نعد كما كنا ولم تعد قصتنا كما كانت..د ارتب صديقا دائما وأردتك حبيبة دائمة... لكن انا نسينا انا لا شيء قابل للديمومة ربما الافضل في هذه المرة انا لا احد فينا سيظلم الاخر بهجرانه... فأنت اردت النهاية وأنا اعلنتها... وانصفنا قصتنا بالرحيل بسلام انقاذا لها ولقلبينا من وقوع الكارثة...فكلانا يدرك الخراب الذي بداخل الاخر و كلانا انقى من ان يلحق الالم بالآخر...الأهم انك ستبقين في عيني سيدة وسأبقى في نظرك رجلا... رغم طفوليتنا التي تسببت في كل هذا الخراب...

لكنه كما قال ذلك البطل الذي اعتبرته شبيها ب"خراب جميل" وكما قال:يا خرابي يا الجميل سلاما!

وقال: ...وافترقنا اذا... لم تكوني كاذبة معي ولا كنت صادقة حقا...لا كنت عاشقة ولا كنت خائنة حقا... لا كنت ابنتي ولا كنت امي حقا... كنت فقط كهذا الوطن يحمل مع كل شيء ضده!

ستبقين وطني وسأبقى كذلك ايضا... سنبقى على اتصال لكننا سنظل دوما على افتراق... سنبقى على ابتعاد وسنجتمع دوما في الذاكره... ستكتبينني وسأذكرك... ستعودين الي واعود لك....ستختارينني اولا واخيرا وسأختارك دوما... سنلتقي دوما والى الابد لكن دون التقاء....سنبقى روحا واحدة في جسدين متباعدين....سنبقى الحب الكبير والحلم الجميل والرواية الاعظم...

فأكتبي!

دوما هنالك شيء مات نحذفه في الرواية... لن يقال سنخفيه فقط بدواخلنا حفاظا عليه من التلف بين اوراق بالية مر عليها زمن طويل فطواها القدم... ذاك ذلك الشيء هو نفسه الذي لم تنطبق عليه قواعد الفيزياء ولن يصبح عتيقا ابدا ذلك الشيء الوحيد الذي سيبقى جديدا ويتجدد دوما في قلوبنا!

"إن الله قد خلق لكل روح من الارواح روحا اخرى تماثلها وتقابلها...وتسعد بلقائها وتشقى بفراقها...ولكنه قدر أن تضل كل روح عن أختها في الحياة الاولى فذلك شقاء الدنيا..وان تهتدي اليها في الحياة الثانية وتلك هي سعادة الاخرة"

مصطفى المنفلوطي

انتابته رغبة مفاجئة بغتة بالعودة....هو الذي لم يتقن الحياة خارج مجرتها...

ترك لها رسالة الساعة الثالثة صباحا...ظن انه سيعايدها من خلالها بعيد الحب في يوم العشاق...تسائل لوهلة هل تجيب؟ هو الذي لا يخاف العواقب و يقبل على فعل ما يريد دون تفكير... هو المتسرع حد الجنون والمقدم حتى التهور هو الذي لم تعرف مثله و احبته حد الكره... اختبرها حتى الاستفزاز ...فصبرت حتى الهرب ...وتمسكت به حد النسيان...

هو كعادته بطريقته التي يحاول من خلالها اثبات كرهه لها او ربما لا مبالاته بها اجابة على رسالة كانت قد بعثت بها اليه منذ ثلاثة اشهر... منذ شهر تشرين الشهر الذي كتب عليه ان يكون شهر فراقهما او ربما نهايته في قلبها...

ضمه لغباء انها ما زالت كما كانت في الصادق وانها ستجاب يلا مبالاته باهتمام مميت... واستفزازه بصبر قاتل... لكنه لم يدري بما اضحت عليه خلال الثلاثة أشهر تلك... مرت عليها كثلاث ملايين سنه ضوئية اخترقت قلبها وجعا... فأخذتها الى مجرة النسيان وكوكب الجفاء وسماء اللامبالاة... لتصبح نسخة تبق الاصل عنه هو اثر خيبته التي تعرض اليها ربما منذ سنتين... ولا ظنت يوما انها ستكون هي من تخرجه من ازمته تلك لتعبر بجسر وجعه وتوصله لشاطئ سعادته الابدية بسلام.... لكنه اكد له انه ليس بحاجتها ليكون كذلك... وليس بحاجه ان تفعل به ذلك... فلديه البديل عنها...

بعث لها رسالته تلك بكل غرور وغباء مختلط كذبة مقنعة بالنسبة اليه ومضحكة بالنسبة اليها مدعيا انه لم يرى رسالتها تلك الا الساعة...

دوما كانت تتغابى تفاديا لأخطائه حقا انها غبية لتتمكن من تصديقه لتتمكن من تصديق انه وبعد ثلاثه اشهر قد اجابها لان نظره لم يقع على رسالتها طوال هذا الوقت...

وان كان كذلك لماذا يجيب بعض كل هذا الوقت؟؟ أهو هام كلامها الى هذه الدرجة بعد كل هذا الوقت؟؟ ام ان مواصلةالحديث بعد كل هذا الوقت هي ذو أهمية؟

أمصّر هو على اشعال الحرائق على ارضية قلبها التالفة بعد كل هذا الوقت؟؟ لم تكن تريد مبادرته بالمعايدة لا على طريقته ولا بطريقة اخرى...

فإكتفت بكلمة...متأخر...

ردا على جملته الساخرة الغبية... ما انتبهت لمبارح!!

ومضت محاولة التأكيد له على ألم تعد كما عرف ولم تكون ردة فعلها كما ظن...

قالت عن اذنك... صدمته جملتها الباردة التي اخترقت بسرعة الضوء كل توقعاته لتسقط اماله على عتبة جدار قلبها الذي استفرغ... هي كعادتها لا تزال بحجر واحد تنهي اللعب وتغادر... وهو كما كان ايضا ودوما ...كطفل يظن انه بتكسيره للعبته سيتمكن من استرجاعها كما كانت فيفشل خائبا ويكتفي بالذهول امام فداحة خسارته... وبعد كسره قلبها ظنا انه سيعود كطفل باك الى حضن امه التي عصاها فتضمه وتفرح بتقبيله ومدحه... من هو انها لا تزال كما عهدها وان قانون التغيير لا يشمل احدا الاه... لكنهما كان روحا واحده...فبتغيره تغيرت هي... وبكسره كسرت وبتجدده تجددت وبخلقه من جديد خلقت مجددا وبتحوله لانسان اخر تحولت لانثى اخرى لا تشبهها من قبل تغيرت وبعد ان كانت تظن انها قد تنجح في اعادتها كما كان غيرها كما تغير...

لم تقدر على اعادته شخصا يشبه نفسه لأنها حاول ذلك في الوقت الذي كان هو يجعل منها امراه لا تشبه نفسها....

ظن انها قد تغيرت معه او ان حبها انتهى بانقلاب عليه وهي ليست إلا ما فعل بها هو....

أجابها مستفزا متظاهرا بلا مبالاته وهو يحترق.. "الله بيسرر"... واذا بسعادتها الغامرة تنطفئ لتتحول ظلاما خيم من على قلبها واستفرغه من جرعة الاوكسجين الذي كان للتو قد مثل بترشفها فرحا... حاولت ان تثبت له انها لم تهتم بغض النظر عن اخطائه بقدر سعيها لحفظ ما تبقى من كرامتها... فقالت: اذا سمحت انا ما غلطت معك لا تغلط اكتر!!

انه ما يزال كما هو في كل ما يفعله بها....يحاول ان يؤكد لها انها تستحقه فقال لها محاولا اقناعها باستحقاقها لكل ذلك العذاب:

انا ما عم اغلط معك.

فهمت ما يسعى لقوله... هاهي تتقدم نحوه لتسقط جميع محاولاته الكبريائية بتعريته والتصريح له علنا انها تدرك ما يفعله ولماذا !!

ألقت له بجملة سعيا منها لإقناعه انها تفهمه كما فعلت دوما...قالت:

انا بس بدي افهم حقدك علي هذا منشان شو؟ بشو غلطت انا؟؟

فأجاب متهربا من الاعتراف: لو سمحتي ما غلطتي ولا حكيتك شي!

ما زال كما هو جبانا يخافها ويخاف قرائتها اياه ... مازال يخفي حقيقة لم يقلها بعد... مازال يريد تأجيج حيرتها بينما لم يعترف انه لم يجد اجابة لنقاط استفهامه حولها....هو الذي يرغب في قتلها وطنها خلف بوابه النسيان ولم يقدر... هي التي سكنت بطرفها من خيالها واحتلت بكلماته لا وعيه له ان ينسى اربع سنوات من حضورها ان له ان ينص بسرعة الضوء لتقتحم عقله وتغادره بين سؤالين هو الذي لم يجد فكه لغزها ولا ادرك قرائتها... هو المتأخر دواما هو الذي وصل اليها بعد ان توقفت عن استكمال طريقها اليه... اتى اليها لحظه تقررت انهاء كل شيء....خضع لها بعد ما لم تعد بها رغبة للاستحواذ عليه وسلمته لغيرها... استسلامها عن المكافحته هو الذي لن يكون لها مهما فعلت ولكنه سيبقى يحبها مهما فعل...

بكلمه اعادها اياما الى الوراء ليبدأ معها دورة مفرغة جديدة من السعادة... اعاده نبضها الى الحياة بعد ان قتلته بكلمه اخرى... بكلمه انبثقت الابتسامة الى صغرها مجددا بعد ان تعودت الشحوب اعاد البريق الى شفتيها فاضحى لكلماتها معنى من جديد ...

خطف كالبرق قلبها من جديد بخير حق ورحل... كسارق دوما يظن شرعيه امتلاكه بما يسرق بكلمه اعادها الى موطنها بين شفتيه بعد ان ثملت اغترابا... اعاد اليها اكسجين بعد ان نسيت كيف تحيا احياها من جديد كما قتلها منذ بضع اسابيع لا تذكر عددها بالضبط تعادل ايقاظها من الموت بكلمة كما ايقظ الامير اميرته النائمة بقبلة ....لكنه لم يعد اميرها اليوم... ولم يأتي لإسعادها...

اثر اثبات هزيمته قبالتها في حلبة الحب بعد ان عاشت معه حياتها كبطلة هاربة من فيلم كعاشقة خارجة من كتاب تبحث عنه خارج الوقت بين صفحات كتابها ولا تدري بعد أتراه اعلن النهاية ام ما زال يقراه حتى الان ؟؟ تدري جيدا انه كان القصه الاجمل ...والأسطر الاروع في حياتها وكان رجلا لن يتكرر... هي التي فجاه كان عليها ان ترحل ان تنسى ان تذهب بعيدا بلا عوده هي التي كانت كوميض من حب زار سماءه فجاه ثم اختفى كي لا يرجع ثانيه كي يبقى ذكرى ربما جميله ربما يسعد بها ربما يتذكرها ربما تبتسم شفتاه اذا مرت بخياله ثانية...

هي لم تعرف بعد متى وكيف اتت ورحلت ولا هو يعرف كيف اقتحمته وغادرت... لكن كليهما يعرفان انه لا نهاية وان النهاية هي البداية بذاتها..

قالت : ربما خلق الحب كي يكون غايتنا التي لا تدرك... لقد علمتني ألا احزن على تجربة فاشلة لان الشخص الخطأ وحده من سيمنحك الدرس الصحيح في الحياة وسيجعلك اوعى واقوى ....

كنت الشخص الخطأ فعلا كنت جبانا هربت لأنني كنت امراه تكتب تفاصيلك.... كخطوط يدها تحفظك... وتلمح ما يختبئ في قولك وتقرا صمتك كنت امراه تمتص خيالك وتروض احلامك كنت امراه ذهبك من عمقها وتعطيك من حبها كي تكون وحدها لك دون كل النساء...

كنت امراه تمطرك اسئلة دون اي جواب ....وكنت رجلا يخاف امراه تفهمه ....

لكن لا يهم فقط كان انتصاري لحظة نجحت في ان اسكن ذاكرتك في غفلة منك... فأنت ستحاول وتحاول نسياني ولن تنجح ..

سابقى حلمك وكابوسك... سأبقى واقعك ومستحيلك ومبتغاك الذي لن تصله...

لقد كنت اريد لي علاقتنا نهاية اجمل من تلك التي جمعت الطاغية الايطالي الدوتشي مع عشيقته تحت حبل المشنقة في روما عام 1945 لحظة سألت كلارا حبيبها:هل انت سعيد لأنني سأموت معك؟

ولكن الحظ لم يحالفها لسماع ما كانت تنتظره بعد ان اخترقت الرصاصة قلبه قبل ان يجيبها...

لقد رحلنا وكلمات كثيرة بداخلنا لم نتبادلها والآن تأتي الي في لحظة غفلة لتباغتني باقتحامي كالعادة في ساعة متأخرة من النسيان ...في كل ليلة من حب تأتي الي هاربا من الذكرى... على الساعة الواحدة بعد منتصف الشوق وتختفي مجددا ...انت الذي لم تحترف الحضور ولم تتقن الغياب... هلا انتهيت مني قبل انهائي؟

فالبعض نهايتهم اجمل بداية !

" لا تترك حكايتك لنسيان والصمت فتصبح انت ذاكره للموت اروي حكاياتك قبل ان تضيع الحكاية"

مفيد نجم

- تمت -